الشيخ إبراهيم عزت

حياته وشعره

الدكتور / حسن عبد السلام

رقم الإيداع بدار الكتب
٨١٩٦ / ١٩٩٦م
الترقيم الدولي I.S.B.N. 977 - 19 - 1242 - 9
جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
ت / ٣٨٤٣٩٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ، ، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ وآله وصحبه ومن والاه ، وبعد .

فإن هذا الكتاب يقدم سيرة رجل ، صدر عنه الشعر كما يصدر العبير عن الزهر ، والضوء عن الشمس .

ولم يهتم بأن يكون شاعراً مشهوراً ، او أديباً مرموقاً ، بل اختار أن يكون داعية فحسب .

لذا جاء شعره كله سبحات في نور الله ، وأنات بهموم الدعاة ، وخفقات إنابة وذكر ، ومومضات سجود وشكر ، فلا غرو أن يسمي ديوانه (الله أكبر) .

والرجل لم يكتب عنه ، ولا عن شعره أحد من الدارسين أو النقاد ، أو المهتمين بالتراجم وسير الرجال . عدا دائرة المعارف الإسلامية (سفير جـ٢) التي جاء فيها تعريف موجز به ، وإشارة إلى ديوانه ، فلها ـ بعد الله عز وجل ـ فضل اهتدائي إلى الكتابة عنه .

ولقد جاء الكتاب ، ثلاثة أقسام ، جعلت القسم الأول منها ، للحديث عن حياته مولداً ونشأة ، وعملاً بالدعوة حتى الوفاة .

وخصصت القسم الثاني لدراسة شعره من عدة جوانب هي : (التجربة الشعورية ، والالتزام الإسلامي ، والأطر الموسيقية ، والصورة الشعرية ، والنزعة الدرامية والوحدة العضوية) .

وأنهيت الدراسة بنقد شعره وتقويمه، أما القسم الثالث، فقد جعلته مختارات من شعره، لاستبقاء بعض شعره وإفاضته في الناس نظراً لندرة النسخ الموجودة من ديوانه، والتي لا يتجاوز عددها ثلاثاً، بحوزة أسرته.

ولقد رجعت في جمع مادة هذا الكتاب إلى أسرة الشاعر (أمه وإخوته وأبنائه) وإلى بعض أصدقائه، استمعت منهم أخباره ووصف أخلاقه، كما رجعت إلى بعض الأشرطة المسجلة عليها خطبه، وإلى ديوان شعره، وإلى مصادر أخرى.

وبعد. فأرجو أن ينفع الله بما كتبت عن الداعية الشاعر (إبراهيم عزت) من يرون في الدعوة رسالة تتطلب إخلاصاً وصدقاً، ومن يرون في الشعر فناً جميلاً يحمل أحياناً قيم الدعوة. والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه إنه سبحانه خير مسئول وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د. حسن عبد السلام

القسم الأول

حياة إبراهيم عزت

(مولده ونشأته - جهوده في الدعوة إلى الله - أخلاقه - وفاته).

المولد والنشأة

في ربيع عام ١٩٣٩م وفي مدينة سوهاج بصعيد مصر ولد «إبراهيم عزت» من أبوين صالحين، يعمر قلبيهما الإيمان ويضيء بينهما نور القرآن.

كان الأب محمد سليمان مهندساً يعمل مفتشاً في التعليم الصناعي بوزارة التربية والتعليم، وكانت الأم مثقفة تعرف واجبها نحو ربها ونحو بيتها وأولادها.

ولم يكن «إبراهيم عزت» هو المولود الأول لهما، فقد أنجبا قبله وليداً أسمياه «أحمد عزت» لكن الله لم يشأ له امتداد الحياة فمات في المهد.

ولما اثقلت الأم بحملها الثاني سمعت قارئاً للقرآن يقرأ قول الله عز وجل: ﴿إن إبراهيم لأواه حليم﴾ فاضطرب جنانها، وتحرك لسانها، وتمتمت: «لئن وهبني الله غلاماً لأسميته إبراهيم، وإن شاء الله يكون له نصيب من أخلاق سيدنا إبراهيم عليه السلام».

وأجاب الله دعاءها، وحقق رجاءها، فولدت غلاماً سمته «إبراهيم عزت».

ونشأ الطفل بين أبويه الصالحين، وحتمت ظروف العمل على الأب أن ينتقل بأسرته إلى مدينة طنطا، فأقام بها عدة أعوام، التحق فيها ولده بمدرسة ابتدائية إسلامية، ثم انتقلت الأسرة إلى القاهرة، فقطنت حي الزيتون، والتحق «إبراهيم عزت» بمدرسة ثانوية في عين شمس، ثم دخل كلية التجارة بجامعة عين شمس، وتخرج فيها سنة ١٩٥٥ وسنه لا تجاوز السابعة عشرة.

وجند بالجيش، وأثناء خدمته بالجيش تقدم إلى مسابقة المذيعين في التليفزيون فنجح في الاختبارات التي أجريت له، وعمل مذيعاً بالتليفزيون، فقدم عدة برامج دينية وثقافية، منها: برنامج باسم (بيوت الله) وبرنامج باسم (دنيا الأدب) ثم عين بالجهاز المركزي للتنظيم والإدارة.

كان أبوه محباً للثقافة، يرتاد حفلاتها، ويغشى أنديتها، وكان يصطحب معه ابنه «إبراهيم» منذ طفولته، ويبدو أن هذه الرعاية التي وجدها من أبيه وأمه نمت فيه

حب الفرامة، ووجهته وجهة صالحة، فظهر تدينه مبكراً وأخذ يتردد على جمعية الشبان المسلمين، ويشارك في أنشطتها.

ثم انضم إلى جماعة «الإخوان المسلمون» في شبابه المبكر، واستمع إلى أعلامها، وحضر ندواتها، وأخذ نفسه بحفظ القرآن الكريم.

لقد حفل هذا القرن بأحداث كبار أثرت في تاريخ مصر والعالم العربي، بل والعالم الإسلامي كله، والأجيال الناشئة فيه. خاصة في نصفه الأول.. فتحت عيونها على صراع محتدم بين الدول الاستعمارية والدول المكافحة من أجل استقلالها ونيل حريتها، كما عاصرت هذه الأجيال العديد من المؤامرات التي حيكت ضد الشعوب العربية والمسلمة لإخضاعها لنفوذ الغرب وقهرها تحت سلطانه.

ولما لاحت في الأفق بوادر التخلص من الاستعمار الأجنبي في مصر، تفتحت أزهار الأمل في قلوب الشباب الناشيء وظنوا أن العدالة أوشكت أن تدق أبواب وطنهم، وأن الحرية كادت تظلهم، ولكنهم تبينوا أن الأحلام لم تكن غير سراب، فلم تشرق شمس الحرية، ولم ترتفع رايات العدالة، وكل الذي رأته الأجيال من بوادر الأمل انقلب إلى أعاصير مدمرة، وعواصف مبيرة، فكانت الأجيال الناشئة في هذه العقود أجيال الأحلام الموءودة والرؤى الغائمة إلا من رحم الله.

استمرت مسيرة الحياة، وفتن العشرين يخوض لججها معتصماً بإيمانه بربه وزاده الذي ربي عليه من العمل الصالح والسلوك القويم وحب الخير لوطنه وأمته.

وفي بحثه عن الوسيلة التي تمكنه من القيام بواجبه نحو ربه ونحو نفسه وذويه ووطنه طرق «إبراهيم عزت» باب التصوف، فاتصل ببعض شيوخه، وحضر حلقات ذكرهم ودروس علمهم ولكنه وجد طريقه في (جماعة التبليغ) فانضم إليها وعمل في صفوفها إلى أن صار إمامها في مصر.

جهوده في الدعوة إلى الله

انضم «إبراهيم عزت» مبكراً إلى جماعة «الإخوان المسلمون» تلك الجماعة التي أنشأها الأستاذ حسن البنا لإصلاح الدنيا بالدين على عدة أسس هي :

(الفهم ـ الإخلاص ـ العمل ـ الجهاد ـ التضحية ـ الطاعة ـ الثبات ـ التجرد ـ الأخوة ـ الثقة) [١] .

ولقد حاولت هذه الجماعة الإصلاح الشامل للفرد والمجتمع في شتى مجالات الحياة، وضمت في مناهجها كل عناصر الإصلاح التي تفرقت في غيرها فهي :

دعوة سلفية، وطريقة سنية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية ثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية[٢] ، وفي تربية الفرد شددت الجماعة على عدة واجبات يلزم بها المسلم نفسه ليكون لبنة قوية في بناء المجتمع، وأهم هذه الواجبات :

أن يكون له ورد يومي من كتاب الله عز وجل، وأن يحسن تلاوة القرآن والاستماع إليه والتدبر في معانيه، وأن يدرس السيرة المطهرة وتاريخ السلف الصالح بقدر ما يستطيع، وأن يديم مراقبة الله تبارك وتعالى، وأن يذكر الآخرة ويستعد لها، ويقطع مراحل السلوك إلى رضوان الله بهمة وعزيمة، ويتقرب إليه بنوافل العبادة ، وأن يكون رحيم القلب، كريماً، سمحاً، وأن يكون صادق الكلمة فلا يكذب، وفياً بالعهد فلا يخلف، وأن يعتني بالنظافة في كل شيء، وأن يهتم بصحته، ويبتعد عن الإسراف، وأن يكون شجاعاً

---

(١) رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ص ٣٥٦ ط دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة ١٤١٢هـ ١٩٩٢ .

(٢) السابق ص ١٢٢ .

عظيم الاحتمال، وأفضل الشجاعة الصراحة في الحق وكتمان السر والاعتراف بالخطأ، والإنصاف من النفس وملكها عند الغضب، وأن يكون وقوراً، شديد الحياء، رقيق الشعور، متواضعاً في غير ذلة ولا خنوع ولا ملق، وأن يكون عادلاً صحيح الحكم في جميع الأحوال، وأن يكون نشيطاً في أداء الواجبات الاجتماعية، فيعود المريض، ويساعد المحتاج ويحمل الضعيف، ويواسي المنكوب، ويبادر دائماً بالخيرات.

كما تتضمن هذه الواجبات: المحافظة الكاملة على الصلاة في أوقاتها وفي جماعة بالمسجد ما أمكن ذلك، والصوم والزكاة والحج إن استطاع إليه سبيلاً، وعلى المسلم كذلك أن يستصحب دائماً نية الجهاد وحب الشهادة، وأن يجدد التوبة والاستغفار دائماً، وأن يتجنب الخمر، والميسر وسائر المحرمات، وأن يجاهد نفسه جهاداً عنيفاً حتى يسلس قيادها، وأن يبتعد عن أقران السوء وأماكن المعصية واللهو، وأن يعمل على إحياء العادات الإسلامية في كل مظاهر الحياة، وأن يحرص على أداء مهمته بجد وإتقان، وأن يلم بالشؤون الإسلامية العامة ويهتم بأمر المسلمين، وأن يعمل على نشر الدعوة إلى الله في كل مكان[1].

وهذه التعاليم - كما ترى - مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهي تهدف إلى تكوين الشخصية الإسلامية المتكاملة.

ولقد أخذ «إبراهيم عزت» نفسه بهذه الآداب فظهر أثرها واضحاً في خلقه وسلوكه ودعوته، حتى بعد تركه لجماعة الإخوان وانضمامه إلى جماعة الدعوة والتبليغ التي تلتقي مع جماعة الإخوان في المرجعية والهدف، أما المرجعية فالقرآن والسنة، وأما الهدف فإقامة الدين.

---

(١) السابق ص ٣٦٥.

والأسس التي تقوم عليها جماعة (التبليغ) هي :[١]

١ ـ الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله .

٢ ـ إقامة الصلوات .

٣ ـ العلم والذكر .

٤ ـ إكرام كل مسلم .

٥ ـ الإخلاص .

٦ ـ النفر في سبيل الله .

أما طريقتهم في نشر الدعوة إلى الله فتقوم على ما يلي :

١ ـ تنتدب مجموعة منهم نفسها لدعوة أهل بلد ما ، فيأخذ كل واحد منهم ما يكفيه من الزاد ، وبعض الفراش ، ويقصدون أحد مساجد البلد ، يصلون فيه مع أهله ، ثم يخرج بعضهم في جولات لدعوة الناس إلى المسجد ، وتعليمهم الوضوء والصلاة ، والاستماع إلى الموعظة والنصح .

٢ ـ بعد إلقاء الموعظة (البيان) يدعون الناس إلى الخروج معهم لتبليغ الدعوة إلى الناس ، كل حسب ما يسمح به وقته (يوماً أو ثلاثة أيام أو أسبوعاً أو شهراً . . .) .

٣ ـ يرفضون إجابة الدعوة إلى الولائم حرصاً على أن يكون عملهم خالصاً لله .

٤ ـ يتجنبون الحديث عن المنكرات ومشكلات الأمة ، ولا يتكلمون في السياسة تفادياً للمزالق التي يمكن أن يسببها الكلام في هذه المسائل .

٥ ـ الخروج في سبيل الله ودعوة الناس إليه هو أهم الوسائل لصقل الداعية وتربيته .

---

(١) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١١٥ ، ط الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ الرياض ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .

٦. يشددون على اتباع سنة الرسول ﷺ في كل شيء.

٧. يكثرون من الحديث عن القلوب وأمراضها، والآخرة وأهوالها، ويذكرون الناس بالموت.

٨. يعتقدون أن التصوف هو أقرب الطرق لاستشعار حلاوة الإيمان، وأن كل مريد لابد له من شيخ يبايعه.

وكان انضمام «إبراهيم عزت» إلى هذه الجماعة سنة ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م، وبعد عامين من عمله في الدعوة معهم، اعتقل سنة ١٩٦٥، إذ سيق إلى المعتقل من أحد المساجد بمنطقة حلوان جنوبي القاهرة ومكث في المعتقلات والسجون ثلاث سنوات دون محاكمة، ثم خرج من المعتقل فاستأنف نشاطه في الدعوة مع جماعة التبليغ حتى وفاته.

وفي المعتقل شهد «إبراهيم عزت» ألواناً من التعذيب وأنواعاً من الاضطهاد، ورأى بعينيه سقوط بعض الدعاة شهداء في ساحات الاعتقال، وسمع بأذنيه عويل النساء وصراخهن في التوسل أمام وحوش السجن، وتعرض. كما تعرض غيره. للإهانة والضرب من زبانية السجن الحربي وغيره من السجون التي امتلأت بآلاف الرجال والنساء الذين رأى النظام الحاكم حينئذ أنهم يمثلون خطراً عليه.

وفي المعتقل كتب «إبراهيم عزت» كثيراً من قصائده الجيدة التي تصور معاناته وإصراره وأمله.

والتي صدرت عن نفس زكية وعاطفة أبية، وقلب مليء ثقة في الله وحباً له وتوكلاً عليه.

من هذه القصائد قصيدة (أمي) التي تشبه في روحها وفي موسيقاها قصيدة هاشم الرفاعي (رسالة في ليلة التنفيذ) [1].

---

(١) مطلعها: أبناء ماذا لد يخط بناني والحبل والجلاد ينتظران

ويمكن الرجوع إليها في مهرجان الشعر الأول ص١١٩ القاهرة ١٩٦٠م وشعراء الدعوة الإسلامية ج ٣، والصوت في الشعر الحديث للمؤلف ص١٠٥.

وفي هذه القصيدة يخاطب «إبراهيم عزت» أمه، داعياً إياها إلى الصبر، وإلى اللجوء إلى الله عز وجل ودعائه، سائلاً إياها أن تعفو عنه وتغفر له ما سببه لها من ألم وقلق، ويعدها بأنه سيتم رسالته في الدعوة إلى الله بعد انجلاء محنته، لينال رضا ربه وشفاعة الرسول ﷺ، وليحقق لأمه النذر الذي نذرته لله إذ ربت ولدها على حب الله وحب التضحية في سبيله.

يقول «إبراهيم عزت» مخاطباً أمه[1]:

مـــاذا أقـــول شـــريكة الأحـــزان
جـــودي بفـــيض العـــفـــو والـغـفـــران
الشـــدو آهات وعـــذب مـــعـــان
ولدت بـرغم الـقـيـد والـســجـــان
في غـــرفـــة مـــصـــفـــودة الجـــدران
ترنـو بـــأحـــزانـــهـــا رؤى ومـــغـــانـي
عـــذراً عـلـى الدمع الـحـبـيـب ذرفـتـــه
فـــأضـــأت منه لـمـــعـــاتدي وريـــاتي
فـلـكـم بـكـيـت لأجـلـه أهـــلا لـنـا
ولـكـم نـعـمـت في ظـلـه أشـــجـــانـي
بـاواحـــة الـعـــمـــر الـغـريب نـغـمـتـي
وبـهـــا أطالع في الـهـجـيـر أمـــانـي
في ظـلـهـا أشـكـو فـــراغ شـــبـــاكـــه
ولـبـوح بالـمـكـنـون فـي خـــفـــقـــان
يامـن بـهـــا فـــرحي غـــدا أنشـــودة
ولـهـــا أجـــدد بـــســـمـــة وأغـــانـي

(١) انظر ديوانه (الله أكبر) ص١٠ ص بيروت ١٩٧٠م.

وحنانها ذلك يهدهد غربتي
ويد تكفكف وحشة الأحزان
إني بخير ياحبيبة فاسلمي
عين الإله تحوطني ترعاني
ويذكر من يهب السلامة فاحتمي
وامضي إلى الحصن الذي آواني
علمتني التوحيد في لحن الصبا
رددته عذباً سرى بجناني
اللحن نبض في الفؤاد حفظته
وسمعته في كربتي أشجاني
ياقبس كفي عن سواد لئازمي
أدب المقام بساحة الإيمان
إني بخير ياحبيبة فاهدئي
أشكو إليه بنبرة الكتمان
لاتحزني مما يقال عن الجراح
وما يقال عن الذي أضناني
لاتفزعي إن رق ثوبي في الشتاء
مع الأسى ونحولة الأبدان
لاتحزني إن كان زادي مرة مما
الجوع يقهر سطوة الشيطان
والزاد ما نلقاه في يوم الزحام
غداً تزلف جنة الرضوان
فري إلى المحراب بثي شكوانا
لله في ثقة وفي إذعان

قـــــــرلي لـه ولدي لـديك وديعـــــــة
نـفوت لـتـــحـــــمل رايـة الـقـــــرآن
ســاعـــود مـوفـــور النـمـاء لـســاحـتي
لزهـو بـعـــــــز الواحـــــــد الـديـان
وأتـم إن شـــــاء الإلـه رســـــالـتي
حـــتى أنـال شـــفـاعـــة الـعـــدنان
أدعـو الحـيـــارى المـتـعـبـين لـربهم
لـلواحـــــد الـقـــــهـــــار لـلـمـنان

ومن هذه القصائد أيضاً قصيدة (أبي) التي يخاطب فيها أباه، مصوراً بعض الأهوال التي رآها في السجن إذ يقول:(١)

كل الذي قد خفت أن اراه يا أبي
رايته . . رايته
النظرة المعلونة الشعاع تقتل الأمان في العيون
واللفظة المعفنة
تمزق الأستار في مجون
والصرخة المروعة . . في الغرفة المفزعة
معزوفة الجناز في حدائق الجنون

وفي قصيدة أخرى يصور الزنزانة فيقول:(٢)

الباب مغلق وقائم
والجدار أبكم وصارم
يصب فوقنا من قسوة الصخور غلظة مجنونة السمات

(١) الله اكبر ص ١٨ .
(٢) الله اكبر ص ٣٥ .

عمياء لاترى كأنها معدة لرقدة الأموات

ثم يقول :

وفوق أرض غرفتي تكدست أجسادنا

تراكمت إلى جوارها فضلاتنا

وكل ساعة تمر تملأ المكان بالعفن

يامن يمر عندنا بسمعه

تصدقوا لنا بخرقة بيضاء

نعدها كفن

وفي قصيدة : (لاتذكر الحياة) يقول :(١)

الخطو في المكان قاتل عبوس

والقلب بين قبضة الأغلال مطرق بئوس

ورغم كبريائنا الممزق الضلوع فكلنا حزين

وكلنا يكابد الحنين

ويفرح السجين لحظة

لكن بسمته يردها الأنين

وكلنا . . ورغم جمعنا وحيد

قد أصبح الكبير والصغير في الأسى سواء

الليل والنهار

بقية الوجود عندنا

علامة الحياة

لم يبق ياأحبتي لنا سوى انتظار

---

(١) الديوان ص ٥١ .

فأمنا مضى

وليس بيننا وبينه نسب

غد معلق بأفقنا المجهول دونه حجب

لكن رعدة هناك

خلف حمرة الشفق

تنبئ الغريب عن أمل

فلترتقب.. فلترتقب

وفي قصيدة بعنوان (لزفت) يصور «إبراهيم عزت» مأساة أمة حيرتها الفتن، بعد أن دبت كرامتها، وسجن دعاتها، وانتهكت حرمة مساجدها، ويرى الشاعر في ذلك كله نذر الهلاك المبير، فيلجأ إلى ربه سائلاً إياه كشف الغمة وتبديد الظلمة، فيقول:(١)

أرفت وليس لردها أحد سواك

وبدت تطل برأسها نذر الهلاك

الناس حيرى والظلام بهيم

والنار تسري في الهشيم تحطم

والغمة الحمراء تكشف وجهها

وتبين في الليل المجلل كبدها

ويموت ذكرك فزعت أسرابها

ومضى عدوك نالها لخرابها

ومضى دعاتك في القبور لأمرهم

والأمر يبقى للعبيد بقهرهم

(١) ديوانه ص ٩٧.

فلتغلقوا الأبواب وليعلو الجدار
حتى تقام مأتم في كل دار
ولتعصفوا بالشيب من قبل الشباب
فالشيخ يخفى بين شيبته الحراب
وليخط الوطء المحمل بالعذاب
ولتجمعوا شملاكم من كل غاب
ولتهتكوا الحرمات في خير النساء
ولتضحكوا مما يغار له الحياء

وكان الشاعر كثير اللجوء إلى ربه، يبثه همه، ويشكو إليه كربه، ويلقي عند بابه رحل همه.

لقد طال ليل الفتنة، وثقلت على الجفاء وطأة التعذيب، وذوى في نفوسهم الأمل، واجدبت عيونهم من البريق، خاب الأمل، وناء السنين واتسعت فتنة ظالمة قياد الأمة فساقتها إلى الهلاك ولا يقدر على كشف هذه الكربة إلا الله. يدعوه الشاعر له ولإخوانه ولأمته فيقول في قصيدته (رباه)[1] :

رباه إن عزّ العجيب بكربة
فلنا بحبرك منية ورجاء
خابت بنا الآمال وهي وليدة
أموات عجز مالها أعداء
كبر الشراع من السفين فلم تعد
تجبر لبر يرتجى ويشاء
صمت الزمان فلا حديث بيننا
ولنا أحاديث مضت بتناء

(١) الديوان ص ٧٩.

لفت بثـــوب الغـــيب في ليل له
في كل خـــاطرا تلوح عـــزاء
نصـــحو ونغـــفو لاتـــزال بيننا
في كل عـــين نظرة جـــذباء
والليل يأتي لايشـــير قـــدومه
غـــير الرؤى ورؤى الـــمحبين عـــزاء
نصـــغي نحطم في ســـراها قـــيدنا
فلنا بهـــا رغم الدجى إســـراء
ونفـــيق بعـــد الليل في ليل الضـــحى
وبكـــل قلب وقـــدة وعـــناء
لاشيء يخطق غـــير لحن صـــامت
عـــزفـــته في ليل الأسى الأنواء
عـــصـــفت بنار ريح ومـــوج غـــاضب
عـــصـــفت بنا في ليلنا الأرزاء
قـــد ضـــاق صـــدري واللســـان يحـــار في
رسم البيـــان فـــيعـــتريه بكاء
وأكـــاد أصـــرخ لســـتغيث بمن له
في كـــل نـــازلة تحـــل وقـــاء
واحـــتمل الليل الطويل بأنة
لك لا لغـــيرك لاســـواك غناء
أنا قـــد وقـــفت ببـــاب رب قـــادر
يـــرجى لديه النـــفع والإيـــواء
وكـــرهت أن ألقى لعـــبد حـــاجة
فـــعـــبيد ربي كلهم فـــقـــراء

ولقد سئمت سؤالهم فسألته
وتركت ساحتهم بي استغناء
أملمته ضعفي ليقوى عنده
فالضعف عند رحابه استعلاء

وفي رحاب ربه استطاع «إبراهيم عزت» أن يستعلي على ضعفه، وأن يصبر على محنه حتى أذن الله بتفريج الشدة فخرج من المعتقل، وقد ازداد إيماناً إلى إيمانه، وعزماً إلى عزمه، فواصل طريق الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وطاف بمدن مصر وقراها، وسافر إلى معظم أقطار الدنيا، يدعو الناس إلى دين الله.

وفي سنة ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م تولى الخطابة في مسجد (أنس بن مالك) بمدينة المهندسين بالجيزة، فأثر في مئات الشباب الذين انخرطوا في سلك الدعوة. ومن عباءته خرج كثير من الدعاة الصادقين الذين بذلوا جهداً كبيراً في الدعوة إلى الله وما يزالون على الدرب سائرين.

لقد تحول مسجد (أنس بن مالك) في عهد «إبراهيم عزت» إلى مدرسة للتربية الإسلامية والدعوة، ففصده كثير من الرجال والنساء للاستماع إلى الشيخ في خطب الجمعة والدروس الأخرى.

وكان تأثير الشيخ في الناس عظيماً، بسبب ما رزقه الله من الإخلاص والصدق، وسعة العلم، وكثرة الحفظ، والمنهج الذي غلب على خطبة ودروسه هو تفسير القرآن الكريم، واستجلاء معانيه في تربية العقيدة الصحيحة المؤسسة على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والإكثار من التذكير بالموت.

ولم يتجنب «إبراهيم عزت» الكلام في مشكلات الأمة، إذ الواقع أنه لا يستطيع الداعية الذي همه إصلاح الأمة أن يتجنب الحديث عن مشكلاتها، ويبدو أن ما ورد في منهج جماعة التبليغ بشأن تجنب الكلام في مشكلات الأمة خاص بالدعاة المبتدئين الذين قد لا يحسنون معالجة مثل هذه القضايا الشائكة.

أقول ذلك لأن بين يدي تسجيلات لبعض خطب الشيخ يتحدث فيها عن (خذلان الحكام لدين الله)، وعن (الأمن الغذائي) وعن (تغيير المنكر) وعن (فساد الإعلام) وكلها قضايا مهمة تمس مشكلات الأمة في الصميم.

لكن أسلوبه في الحديث عن مثل هذه القضايا وغيرها ينأى عن التجريح، وذكر الأشخاص، ويبدو عليه الصدق في البحث عن الطريق الأمثل للخروج بالأمة من أزمتها. ومن سمات خطبة كذلك الإكثار من الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والإكثار من الدعاء بالمأثور عن الرسول ﷺ.

وكانت له مقدمة يلتزمها في سائر خطبه، وهذه المقدمة هي:

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أجمعين».

﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾[1] ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾[2] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في سبيل دينه حتى أتاه اليقين، فاللهم اجزه عنا وعن الإسلام والمسلمين خير ما جازيت به نبياً عن أمته ورسولاً عن قومه، اللهم أحينا على سنته، وتوفنا على ملته، واحشرنا تحت

---

(١) البقرة: ٣٢.

(٢) الأنعام: ٥٩.

لوائه، وأوردنا حوضه، واسقنا من يديه الشريفة شربة هنيئة لانظما بعدها أبداً، واجمع بيننا وبينه كما آمنا به ولم نره، ولاتفرق بيننا وبينه حتى تدخلنا مدخله».

وتتسم خطبه بالطول، لكن حماسه في الأداء، وشدة إيمانه بما يدعو الناس إليه، وانطلاق لسانه، وحضور حفظه، فلا يتوقف ولا يتلعثم، كل ذلك كان يمكنه من أن يقول في ساعة ما يمكن أن يقوله غيره في ساعتين. وخطبه تدل على سليقته الأدبية، وفصاحته الفطرية وإليك نماذج منها:

«يقول الحبيب المصطفى ﷺ: ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له حواريون واصحاب، يأخذون بهديه ويأتمرون بسنته، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بسيفه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

الإيمان: أن تحب ما يحبه الله ورسوله، وأن تبغض ما يبغضه الله ورسوله، وأن يكون قلبك ولسانك وجوارحك تحت أمر من يقول للشيء كن فيكون، والحبيب صلوات الله وسلامه عليه بين لنا بماذا أهلك الله الأمم السابقة، وبماذا حلت عليهم اللعنة، وأنزل الله بهم السخط والعذاب: «إن أول ما أدخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل فيهم يلقى الرجل فيجده على معصية، فيقول له ياهذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لايحل لك، ثم يلقاه من الغد فيجده على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قرأ الحبيب ﷺ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[1] ثم قال صلوات الله وسلامه عليه: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يعمكم بعقاب ثم تدعون فلا يستجاب لكم».

(١) المائدة ٧٨ و ٧٩.

ليس الإيمان بالتمني وليس الإيمان دعوة بلا بينة وإنما الإيمان استقامة تحت أمر الله عز وجل، فاختر لنفسك طريقك، أعطاك الله السمع والبصر والعقل وسيسألك عن كل ذلك بين يديه يوما، وما من أحد إلا وسيكلمه الله ليس بينه وبين ربه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشام منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أمامه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة».

وفي خطبة أخرى يقول:

(بعث الله حبيبه صلوات الله وسلامه عليه لتشرق الدنيا بأنوار التوحيد، وليتعلم الناس أن لهم رباً لا إله غيره ولا رب سواه.

السعادة والعز في طاعته، والذل والندامة في معصيته، فجاهد صلوات الله وسلامه عليه حتى أدى الرسالة كاملة، وبلغ ما أمر به من ربه، ثم تسلمنا هذا الرسالة وهذه الأمانة.

يقول أنس رضي الله عنه:

«ما إن دخل رسول الله ﷺ المدينة إلا وأضاء منها كل شيء، وما أن نفضنا أيدينا من التراب بعد دفن رسول الله ﷺ إلا وأظلم من المدينة كل شيء».

ويقول حسان رضي الله عنه، بعد أن انتقل الحبيب صلوات الله وسلامه عليه إلى ربه:

كنت السواد لناظري
فعمي عليك الناظر
من جاء بعدك فليت
فعليك كنت أحاذر

تركنا رسول الله ﷺ، ووقف عمر بن الخطاب يزور الحبيب في قبره، وقال عمر رضي الله عنه: «بأبي أنت وأمي يارسول الله كنت تخطب على جذع فلما صنع المنبر وتركت الجذع وصعدت على المنبر بكى الجذع لفراق النبي ﷺ حتى

سمع له أنين، فأمتك أحق بالبكاء يارسول الله على فقدك بعد انتقالك إلى ربك».

ترك لنا رسول الله ﷺ قرآنا تولى الله حفظه وترك لنا سنة مباركة طاهرة، نسأل الله جل وعلا أن يجعلنا من أهلها، وترك لنا ديناً قويماً أتم الله به النعمة وأكمل المنة، فماذا نحن فاعلون بميراث نبينا صلوات الله وسلامه عليه؟

إن الأنبياء لم يورثوا ذهباً ولا فضة، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر.

تركنا ونحن سادة الدنيا، تركنا بعد أن عقد اللواء لأسامة بن زيد رضي الله عنه لتتوجه كتائب الإسلام إلى مشارق بلاد الروم، تعلن للدنيا أن الإسلام قادم، وأنه لامكان للظلام في أرض لرتفع فيها لواء التوحيد فماذا حدث لأمة الحبيب صلوات الله وسلامه عليه؟ «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يارسول الله؟ قال: لا، بل أنتم يومئذ كثير، ولكن غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة منكم من قلوب أعدائكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن. قيل: وما الوهن يارسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت»، حيثما نظرت لن تجد إلا تكاسلاً وتخاذلاً عن نصرة دين الله جل وعلا.

فرقة واضطراب وجهل وعمى، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فإذا أرادت هذه الأمة أن تعود إلى عزها ومجدها، فليس هناك من سبيل إلا أن تتأدب على باب الرسول ﷺ.

الله يقول لحبيبه: «وعزتي وجلالي لو جاءوني من كل طريق، واستفتحوا من كل باب، لما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك».

هدي النبي ﷺ هو الهدى، ونهج النبي ﷺ فيه خير الدنيا والآخرة.

احتفلنا بمولد الحبيب ﷺ، فكيف كان احتفالنا؟

الله جل وعلا يبين لنا كيف يكون الاحتفال بحبيبه ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤) فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾(١) ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ﴾(٢) ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (٣١) قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾(٣) .

يامن تزعمون أنكم أحباب لرسول الله ﷺ أين سنة الرسول ﷺ فيكم؟

أين شرع النبي ﷺ فيكم؟

أين رسول الله في رجالكم ؟

أين رسول الله وهديه في نسائكم وفي بيوتكم ؟

أين رسول الله في أولادكم ؟

أين رسول الله في تجارتكم ؟

أين رسول الله في بيعكم وشرائكم ؟

أين رسول الله يا أمة رسول الله ؟

ياشباب الإسلام . ليس هناك من يهمه أمر دينكم فعليك أن تهتم أنت بأمر دينك) .

---

(١) النساء : الآيتان ٦٤ ، ٦٥ .

(٢) النساء : ٨٠ .

(٣) آل عمران ٣١ ، ٣٢ .

وفي تمهيده للحديث عن سورة المطففين وهي سورة مكية يقول:

(القرآن في مكة قضاياه الأساسية هي قضايا التوحيد واليوم الآخر، والإصرار على صدق الرسول ﷺ فما بال قرآن مكة يتكلم عن المعاملات، وعما يكون بين الناس من أحوال اقتصادية؟

وكأن هذا الدين العظيم المبارك يعلم الدنيا كلها أنه ما جاء ليحبس الناس في المساجد، وإنما هذا الدين المبارك جاء ليعلن كلمة الله جل وعلا في كل أمر، وليعلن سيادة الله جل وعلا على أرضه في كل قضية من قضاياها.

الله له أوامر في نواحي الحياة في كل معاملة وفي كل معاملة.

لله أمر وينبغي عليك أن تبحث عن أمر الله في كل شيء من أحوال حياتك حتى تتأسى برسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

وكأن الإسلام وهو في مكة مستضعف في أهله يعلن أن له السيادة على الدنيا بكل أحوالها فهو يحدث المطففين، ويحدث المتجبرين، ويحدث أصحاب الأموال، ويهدم صروح الظلم، ويبين للناس أن لهذا الدين منهجاً كاملاً ينظم الحياة من بدايتها إلى نهايتها).

وواضح من هذه الخطب أن الشيخ «إبراهيم عزت» رحمه الله كان ذا فهم صحيح لدين الله، وعقيدة سليمة، واقتناع تام بأن الإسلام دين كامل شامل، وأنه هو المنهاج الوحيد الذي به تصلح حياة الناس وتستقيم، وأن شرائعه تغطي كل شئون الحياة - الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وأن سنة الرسول ﷺ واجبة الاتباع بوصفه الهادي المبلغ، والصادق الأمين، والمطبق الأول لشرع الله، والقدوة الحسنة للمسلمين جميعاً.

لقد ظل «إبراهيم عزت» يحمل هذه الدعوة إلى كل مكان حتى بعد أن منع من الخطابة في مسجد أنس بن مالك بقرار سياسي.

لقد حمل دعوة إلى الجامعات التي انتدبه شبابها لبحدثهم ويحاضرهم، وإلى المدارس الثانوية والإعدادية، بل إنه لم يستنكف أن يذهب إلى تلاميذ المدارس الابتدائية يدعوهم إلى الفضيلة والأخلاق الحسنة.

كما كان يستغل تجمع الناس في المناسبات الاجتماعية كالأفراح والمآتم، فيدعوهم إلى طريق الله عز وجل. وكان مواظباً على الخروج في سبيل الله للدعوة خارج مصر أربعين يوماً كل عام.

* * *

صفاته وأخلاقه

كان الشيخ «إبراهيم عزت» يتصف بمجموعة من الصفات النفسية والأخلاق السلوكية جعلت منه داعية من نمط خاص ، وهذه الصفات هي :

● الذكاء، ويشهد بهذا الذكاء النادر تفوقه في دراسته وتخرجه في الجامعة في سن مبكرة ، وقدرته على حفظ القرآن الكريم حفظاً جيداً .

وكان يظهر أثر هذا الذكاء في دعوته .

حدث مرة وهو يخطب أن انهمر المطر . فلفت الناس إلى قدرة الله في إنزال المطر . قائلاً : إننا لو أردنا أن نصنع كوباً من الماء لما كفانا كل الأوكسجين الموجود في الهواء فوق حي المهندسين .

● العفة، طبع . رحمه الله . على عزة النفس ، والتعفف عما بأيدي الناس ، فلم يكن يتقاضى أجراً من أحد لقاء دعوته ، حتى عندما كان يدعى إلى بعض دول الخليج لإلقاء بعض الدروس والمحاضرات ، وتسجيل بعض الحلقات للتليفزيون أو الإذاعة ، كان يرفض أن يتسلم عن ذلك أجراً ، بل إنه لم يكن يقبل النزول في الفنادق على نفقة أحد ، وكان يفضل الذهاب إلى المساجد .

واجتمعت له عفة النفس واليد واللسان .

● السخاء . يذكر إخوته إنه كان كريماً سخياً يقدم الطعام لكل من يزوره في بيته ، ويجهز بعض الخارجين في سبيل الله على نفقته .

ويقولون : إنه كان يحمل في سيارته اللحم والدجاج قبل موعد الإفطار في رمضان ، فيذهب إلى بعض الأحياء المجاورة للمهندسين ، فيوزعه على الفقراء هناك .

● الصبر . ولا أدل على صبره من مداومته على طاعة الله والاستمرار في الدعوة إليه ، وتحمل المشاق التي واجهته في طريق الدعوة .

تروي أمه أنه أخبرها بأن المرحوم حسن الهضيبي رآه في المعتقل فأشفق عليه لصغر سنه، وشدة ما يتعرض له من التعذيب، لكنه رأى في وجهه علامات الصمود والصبر فتوقع أنه لن يفتن عن دينه.

● الرضا ـ اتصف ـ رحمه الله ـ مع صبره بالرضا بقضاء الله والاطمئنان إلى ما يقسم، فلم يعرف السخط طريقاً إلى قلبه، وأشعاره في وصف محنة السجن تدل على ذلك. كما أنه لما أراد الزواج، واختار إحدى الفتيات ليخطبها كتب قصيدة عنوانها (خطبة مسلم) أعرب فيها عن إعجابه بفتاته ورغبته في الزواج منها دون أن يقول شيئاً يؤخذ عليه. ثم في نهاية القصيدة فوض الأمر لله في أن يقسم له ما يشاء، وأن يختار له ولها من يشاء فقال:

كـــلانا ســـيدرك في عـــمـــره
قـــضـــاء جـــرى ســـره مـــحكم
وكـــلـــت لـــه الأمـــــر لا أبـــتـــغي
بديلاً إذا اخـــتـــار مـــا يقـــسم

● الرحمة ـ كان رحمه الله ـ رقيق القلب، مرهف الحس، كثير البكاء عندما يقرأ القرآن ليلاً، وكثيراً ما كان يغلبه البكاء وهو يخطب.

وتقول أمه: إنه لما كان يسمع نشرة الأخبار، لا يتمالك نفسه، فيبكي لأحوال المسلمين ـ خاصة أيام الحرب بين العراق وإيران.

كما كان من مظاهر هذه الرحمة عطفه على اليتامى والفقراء والمساكين.

● التواضع ـ على الرغم مما بلغه «إبراهيم عزت» من مكانة بين كبار الدعاة في مصر وفي العالم الإسلامي، وحضور الآلاف للاستماع إلى خطبته والصلاة خلفه، لم يحمل في نفسه شيئاً من الكبر، فكان متواضعاً لإخوانه وذويه، متواضعاً في مشيه وركوبه ولباسه، يقول أبناؤه وإخوته: إنه عندما كان يسافر في القطار أو الباخرة لا يركب إلا في الدرجة الثالثة. ليس عن ضيق حال. وإنما مراعاة لحال غيره

من إخوانه ومرافقيه ولما سئل : لماذا تركب في الدرجة الثالثة ؟

اجاب : لانه لاتوجد درجة رابعة .

● الزهد ـ لم يكن حطام الدنيا يشغل موضعاً ذا بال في اهتمام «إبراهيم عزت» وعمله ، لقد ولي الرجل وجهه نحو الآخرة ، وأدار ظهره للدنيا .

ومن دلائل هذا الزهد ما روته لي أمه إذ قالت : (رفع كثير ممن عذبوا في سجون عبد الناصر دعاوى تعويض على الحكومة . في عهد السادات . وسئل «إبراهيم عزت» لماذا لم ترفع قضية تعويض ؟ فاجاب : إن أموال الدنيا جميعاً لاتعوضني عن ساعة واحدة من ساعات التعذيب ، وإني لأحتسب ذلك عند ربي) .

كما يروي إخوته الذين كانوا معه عند وفاته أن قميصه الداخلي كان ممزقاً ، ولم يكن ذلك عن فقر ، وإنما عن زهد في الدنيا واستعلاء على مطالبها .

● البر ـ كان رحمه الله ـ مثالاً في بر والديه ولعله وإخوته .

تقول أمه : إنه كان معتاداً على تقبيل يديها وتقبيل قدميها ، ولما كانت تنهاه عن تقبيل قدميها يقول لها : دعيني . فإن الجنة تحت أقدام الأمهات ، وكان يفعل ذلك مع والده أيضاً ، ومن دلائل بره بوالديه وإخوته وإخوانه قوله في إهداء ديوانه :

«إلى أمي وأبي وإخوتي .

إلى الذين عاشوا الآلام من أجلنا في فترة عصيبة نحتسبها جميعاً عند الله

إلى من سبقونا إلى الجنة . . وإلى من ينتظر

إلى من تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم أهدئ هذه الكلمات» .

هكذا كان ـ رحمه الله ـ أحد العلماء العاملين والدعاة المخلصين .

خاتمة صالحة وموتة حسنة

في شهر رمضان سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م عقد الشيخ النية على السفر لأداء العمرة والاعتكاف بالمسجد الحرام في العشر الأواخر من الشهر الكريم ثم السفر إلى بعض الدول للدعوة إلى الله فيها .

وبعد انقضاء ثلثي الشهر الكريم تقريباً، قصد الشيخ ومعه أحد إخوته وولده الأكبر وكثير من إخوانه الأرض المقدسة .

وقبل أن تصل الباخرة إلى ميناء جدة، وفي إحدى ليالي الوتر من الثلث الأخير، وبعد انقضاء يوم من الصيام ، أفطر الشيخ «إبراهيم عزت» وصلى المغرب مع مرافقيه، ثم استأذنهم للراحة، فلم يحن وقت صلاة العشاء إلا وكانت روحه قد صعدت إلى خالقها، وله من العمر ثلاثة وأربعون عاماً، وتم دفنه في مكة المكرمة بعد أن صلى عليه آلاف المسلمين في الحرم الشريف، مكفنا في رداء إحرامه .

ويهذه الخاتمة الصالحة والموتة الطيبة حقق الله لعبده إحدى أمنياته، إذ كان يكثر من القول في الدعاء: «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، وموتة في بلد حبيبك ﷺ» .

● ● ●

القسم الثاني

شعر إبراهيم عزت

دراسة وتقويم

(التجربة الشعورية ـ الالتزام الإسلامي ـ الصورة الشعرية ـ الأطر الموسيقية ـ النزعة الدرامية والوحدة العضوية ـ نقد وتقويم)

١ ـ التجربة الشعورية

التجربة الشعورية هي تفاعل الشاعر بعواطفه وأحاسيسه مع الأفكار أو المواقف والأحداث التي يريد التعبير عنها وتصويرها. ويقدر معاناة الشاعر في معايشة أفكاره ومواقفه، وإخلاصه في الإحساس بها، وصدقه في التعبير عنها يكون نضج التجربة وقدرتها على التأثير في متلقي الشعر.

هذا هو ما يعبر عنه ـ أحياناً ـ بالعاطفة الكامنة في نفس الشاعر، التي تدفعه إلى القول، والتي تهب كلامه حياة من حياته وروحاً من روحه.

والأفكار والمواقف والأحداث التي تتشكل منها تجارب الشعر تستمد من الواقع الذي يعيشه الشاعر، أو من الثقافة التي يثقف نفسه بها، أو من خياله.

ومدار الصدق في التجربة لا يتوقف على مصدر المواقف والأحداث والأفكار، وإنما يتوقف على إيمان الشاعر بها أياً كان مصدرها.

ومع هذا فإن الأحداث المستمدة من واقع الشاعر وحياته التي يعيشها تكون أقرب إلى دائرة الصدق من تلك التي تأتي من الثقافة أو من عالم الخيال.

وتتنوع التجارب بتنوع المواقف والأحداث والأفكار، وتبعاً لهذا التنوع تتعدد أغراض الشعر ومواضيعه.

والحق أن الكلام عن أغراض للشعر أو موضوعات عند «إبراهيم عزت» غير متاح، فليس في شعره تنوع للمادة الفكرية والمواقف التي تبنى عليها التجارب، فلقد كان الرجل داعية في شعره، كما كان شاعراً في دعوته. الهم الذي ملأ نفسه، وشغل فكره، واستحوذ على مشاعره هم واحد.

لقد أصدر الشاعر ديواناً اختار له عنواناً هو عنوان أولى قصائده ترتيباً فسماه (الله أكبر).

الحقيقة التي يعبر عنها هذان اللفظان هي التي عاش الشاعر بها ولها، فليس له تجارب أراد التعبير عنها أو مواقف قصد تصويرها تخرج عن دائرة هذه الحقيقة.

لقد عاش الشاعر في مصر، وطوف بمدنها وقراها، وسافر إلى أكثر دول العالم في الشرق وفي الغرب، ولم يشغله شيء من مشاهد البيئة أو مظاهر الطبيعة أو طرائق الحياة، هنا أو هناك.

وتزوج الشاعر وأنجب، فلم يشغل شيء من هذا أو ذاك مجالاً في شعره.

حتى قصائده التي قد توهم من عناوينها أنه جاوز دائرة (الله أكبر) هي في حقيقتها في قلب هذه الدائرة فقصيدة (أمي) وقصيدة (أبي) وقصيدة (صغيرتي) كلها أجزاء من هذا النسيج الواحد الذي يتشكل منه ديوانه.

ويبدو أن «إبراهيم عزت» - رحمه الله - لم يكن يهمه أن يكون شاعراً، ولم يرد أن يكون من أصحاب الدواوين، وقصائده التي ضمنها ديوانه الوحيد ليست غير فيض نفسه بما امتلأت به من حقائق الإيمان في بعض المواقف التي استثارت هذه النفس المؤمنة والشاعرة معاً.

وعلى ذلك فإن التجربة الشعورية في شعر إبراهيم عزت تتجاوز درجة الصدق الذي هو مبتغى الشعراء وغاية النقاد إلى مستوى الإيمان.

وهي بهذا من أرقى التجارب وأنضجها لأن الصدق يمكن أن يكون لحظة، أما الإيمان فإن عمره أطول وأثره أبقى.

ماذا تقول في شاعر لم يتغزل قط، ولم يهج قط، ولم يمدح أميراً أو ملكاً ولا رئيساً، ولم تهتز ملكة الشعر فيه لأحد من الناس تمدحه سوى رسول الله ﷺ.

لم يقل إبراهيم عزت شيئاً في شعره يحتمل الاتهام بالتصنع أو الكذب.

لقد نأى بنفسه عن التهويم في كل واد، وعن القول الذي يصادم الفعل، فكان من ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظُلموا﴾[1] فهذه هي صفات الشعراء الذين استثنتهم سورة الشعراء من الذم في قول الله عز

(١) من الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء.

وجل: ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾[١] .

وإذا كان التآلف بين الطبع والتعبير هو ما يدل على ان الشاعر مطبوع، وان شعره هو شعر السليقة والطبع لا شعر الصنعة والتقليد[٢] ، فإننا نجد هذا التآلف أوضح ما يكون في شعر «عزت» بل إنك لتجد تآلفاً بين طبع الرجل وحياته وتعبيره على نحو عجيب.

لقد اخلص في إيمانه، وجعل حياته كلها في حدود هذا الإيمان، وصار تدينه طبعاً فيه، فلما شعر، جاء شعره اقباساً من نور إيمانه، وقطعاً من نفسه ووجدانه.

وبعد هذا الكلام النظري يحسن ان نقرأ بعض اشعاره لنرى مدى التآلف بين الطبع والتعبير، ومدى الانسجام بين ما استقر في قلبه وما جرى به قلمه.

يقول في قصيدة (امي)[٣] مخاطباً ربه عز وجل:

لبيك حتى تستجيب دعاءنا
لبيك في جدب ولي إحسان
لبيك لي تبقى القلوب حلاوة
تهب الخلوه إلى التراب الفاني
شوقاً بها تطوى الحياة وركبها
تستعجل اللقيا مع الرضوان
لبيك فاكشف كرب امة احمد
فالشيب يعلو هامة الولدان
والخطب لايجلوه ركب عاجز
تعنو الجباه به إلى الاوثان

---

(١) سورة الشعراء، آية: ٢٢٤.

(٢) انظر مقالاً للعقاد في مقدمة ديوان المازني بعنوان: الطبع والتقليد في الشعر العصري ص د.

(٣) ديوانه ص ١٦.

فـــأذن يـــبعث مـــثل بعث المـــصطفى
عـــذب المـــوارد راسخ الأركـــان
حـــبـــاً أتينا خـــاشـــعـــين وســـجـــداً
لله نرجـــو رحـــمـــه الـــرحـــمن
حـــبـــاً نريد العـــفـــو من آلاله
ياطيب مـــا تعطى يد الـــغـــفـــران

فتكرار كلمة (لبيك) في الأبيات السابقة أربع مرات والتعبير بكلمة (شوقاً) وكلمة (حباً) الواقعتين مفعولاً لأجله، وتكرار كلمة (حباً) والحالان (خاشعين) و(سجداً) وذكر (الرضوان والرحمن والغفران) وهذا الدعاء واللجوء والرجاء.

كل ذلك تعبير مواتم لما استقر في قلب الشاعر من الحقيقة المتضمنة في (الله أكبر).

ومن فيض هذه الحقيقة جاء تعبيره في خطاب ربه عز وجل من قصيدة (لحظة الوصال) إذ يقول[1]:

مشتاقة إليك سيدي جوارحي
مشتاقة إليك في القلوب لمحة
محتاجة من نورك الفياض
بعض ما يبل غلة الظما
تشققت في الصدور سيدي
مواطن الزروع
بعض الندى

(١) ديوانه ص ١٢٥.

أو قطرة من المطر

ترد قصة الحياة

حتى يحين موعدي مع اللقاء

وعند ذاك سيدي وعند ذاك

سينتهي السؤال

سنذوب سيدي

في لحظة الوصال

إن هذه الكلمات تعبر عن شوق لهيف إلى لحظة وصال، وتصور قلب الشاعر ظامئاً إلى بعض الندى أو قطرة من المطر، إلى قبس من نور الله يمنحه الحياة، حتى يحين موعده مع لقاء سيده. في لحظة الوصال، التي عندها ينتهي السؤال، وتتبدل الأحوال.

وعن الحقيقة التي استقرت بفؤاده، وملكت عليه نفسه يصدر تبتله الخاشع في قصيدة عنوانها، (ببابك) التي يقول فيها[1]:

ببابك لن أغادره
ولن أسعى إلى غيرك
سأتبع بالرضى نوبي
وأشعرك أنني عندك
وأحمد حينما تعطي
وتجري بالعطا كفك
وأحمد والقضا يبلو
ولطمع في سنا عفوك

(١) الديوان ص ٨٤.

أراك بكل مـــــــــــــــــــرة
يـــــــــــــــــج صنعهـــــــا باســـــــمك
ويـــــروى الـــقـــلـــــب فـــي لـــيـــل
دعـــــاء فـــــيـــــضـــــه ذكـــــرك
أنـا بـالـبـــــــــــاب أنـفـــــــــاس
يردد نـبـــــضـــــهـــــا حـــــمـــــدك

ومن الملاحظ أن الشاعر يكثر من استخدام ضمير الخطاب في مناجاته لربه في الأبيات السابقة وفيما عداها .

والإكثار من ضمير الخطاب يدل على حضور الله عز وجل في قلبه، وعلى أن حقائق الإيمان ملأت أقطار نفسه، وهو بهذه الضمائر المتوالية في خطاب ربه عز وجل يستشعر حلاوة مناجاته، ولذة القرب من جنابه، وسعادة الخشوع في رحابه.

ولست متزيداً ولا مبالغاً إذا قلت إن تعبير الشاعر لا يعدو أن يكون فيضاً من نفسه التي ملئت بحقائق الإيمان وأضيئت بأنواره، فهاهو ذا يقرر ذلك إذ يقول[1]:

أنت الـذي أســـــربت دفـــــئـــك في دمي
فـــبـــدت مـــلامـــحـــه ترقـــرق فـــي فـــمي
فـنـطـقـت بـاســـمـك داعـــيـــاً ومـلـبـــيـــاً
وجـــرى الـلـســـان بـمـا أفـــضـت مناجـــيـــاً

ولا تخرج قصائده في مديح الرسول ﷺ عن كونها فيضاً من نبع إيمانه، فهو محب للرسول الهادي، مدين له بهدايته إلى الإيمان، متبع لسنته، راج لشفاعته. في إحدى زياراته للرسول الكريم ﷺ يقول «إبراهيم عزت»[2]:

---

(١) الديوان ص ٧٣.
(٢) الديوان ص ١١٧.

أســـفـــر الفـــجـــر ولاحـت
مـن ثـنـايـاه الـبـشـائـر
وأتـيـنـا يـاحـبـيـبـي
وجـنـاح الـشـوق طـائـر
مـــا ركـــبـــنـاهـا مـطـايـا
بـل قـلـوبـاً ومـشـاعـر
كـلـمـا الـطـرب حـــادٍ
جـــد فـي الـسـيـر الـمـهـاجـر
يـارســـول الـلـه جـئـنـا
نـسـبـق الـخـطـو الـبـعـائـر
رحـمـة الـلـه أتـيـنـا
بـالـشـفـيـعـاً لـلـعـشـائـر
هـذه كـل مـنـانـا
ونـسـيـم الـقـرب عـاطـر
جـئـنـت لـلـنـور لأجـلـو
كـل مـاحـات الـخـواطـر
أطـلـب الـبـرء لـسـقـم
لايـرده غـيـر قـادر
أطـلـب الـفـضـل عـطـاء
نـحـتـمـي فـيـه الـبـرائـر

وانظر إلى تعبيره عن شوقه لزيارة المصطفى بهذه الكلمات (وجناح الشوق طائر).

مـــا ركـــبـــنـاهـا مـطـايـا
بـل قـلـوبًا ومـشـاعـر

يـارســـــــــول الـلـه جـــــــــئنا

تـــــــبق الـخـطـو الـخـــــــــاطـر

فشوقه هو الذي يطير به، وفي رحلته إلى المصطفى لم يركب مطايا بل قلبه ومشاعره هما مطيته، وضميره يسبق خطوه، والرحمة والنور والشفاعة هي مبتغاه من الرحلة.

فإذا جاوزنا شعر المواجيد الإيمانية والأحوال القلبية في مثل هذه القصائد، ونظرنا إلى شعر الواقع في السجن الحربي والمعتقل، الشعر الذي يصور معاناة الدعاة في غياهب السجون في عهد الاستبداد والظلم، وجدنا هذا الشعر أيضاً فيضاً متدفقاً من نبع الإيمان في نفسه، أليس إيمانه هو الذي جلب عليه هذه المحن.

وأليس إيمانه هو ملاذه الوحيد الذي يستمد منه الصبر على تحملها ؟ والأمل في تجاوزها ؟

هذه قصيدة تصور المحنة عنوانها (الألم) يقول فيها[1] :

نعم أصابنا الضنى وهدنا الحزن

نعم بكت عيوننا وضجت الجراح بالعفن

والضر مسّنا وعضنا بنابه الشجن

وفي زغام ليلنا الضرير

شامخ فتن

نعم أخي نعم . . ولست أنكر الألم

ورغم أن وجهه الكئيب

(٢) الديوان ص ١٣ .

قد مر في يومنا وخلف النحيب

ورغم أنني وأنت في ديارنا غريب

ورغم أن فرحة المنى قد ودعت قلوبنا

فلم تعد تلوح للبعيد والقريب

ورغم ضعفنا وخوفنا وسطوة الخصوم

ورغم أننا هنا نصارع الهموم

فلم تزل أقدارنا تقول

لابد ياأحبتي من الألم

ليسقط الكسيح

ليتهي تراقص النسيح

ليختفي في قسوة النيران مرهف الطلاء والخبث

ليهتف الجميع : الموت للعبث

ليستبد بالمراوغ القلق

ليهدأ الشهيد إن صدق

فلم تزل مزاهر الحياة في القلوب

يصونها من الضياع أن ربها كبير

وأننا بركنه الشديد نستجير

وأننا بظله الحبيب نحتمي

وفي رياض وعده الوفي نرتمي

وإنه لحق

البيع رابح ورابح

نظل في مواطن البلاء والرجا نوحده

ونذكر اسمه الحبيب حينما يضمنا السجود

وحين يبدأ الحديث بيننا وبينه نمجده

وتشرق الحياة باسمه الودود حينما نردده

هذه هي عواطف الشاعر التي عنها صدر، وهذه هي تجربته الشعورية التي عاشها، متمثلة في الإيمان الذي عاش به وله، ومهما لاقى في سبيل إيمانه فإن حقيقة (الله أكبر) التي جعلها عنواناً لديوانه تهون عليه الألم، وتحيي في قلبه غراس الأمل.

هذه الحقيقة التي تصون الحياة من الضياع، وفي ظلها يحتمي المؤمنون، وفي رياض وعدها يرتعون، ويرددونها فتشرق الحياة.

وصدور الشاعر في قصائده جميعاً عن هذه التجربة لايعني أن جميع قصائده على درجة واحدة من الإخلاص للتجربة وتمثلها، فالفتور والضعف والتفاوت أمور لايخلو منها كلام بشر.

لكنه على أي حال لم يهبط إلى درك الكذب والتصنع والادعاء.

* * *

٢ ـ الالتزام الإسلامي

يدرك المرء أول ما تقع عينه على الغلاف الداخلي لديوان إبراهيم عزت أنه شاعر إسلامي ملتزم، وتبدو مظاهر هذا الالتزام فيما يلي :

ـ العنوان الذي اختاره الشاعر لديوانه (الله أكبر) .

ـ الصورة التي رسمت على الغلاف متمثلة في كفين ترفعان المصحف الشريف.

ـ تصدير الديوان بإحدى سور القرآن الكريم هي سورة الكافرون، والتي يقول فيها ربنا عز وجل: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾

ـ كلمة الإهداء التي كتبت على غلاف الديوان، والتي وجهها الشاعر إلى أمه وأبيه وإخوته، وإلى الذين شاركوه آلام المحنة التي تعرض لها، وإلى من سبقوه إلى الجنة وإلى من ينتظر، وإلى الذين نحلموا بروح الله على غير أرحام بينهم.

ـ ترتيب القصائد الأولى في الديوان، حيث جاءت القصيدة الأولى (الله أكبر) والثانية (أمي) والثالثة (أبي) والرابعة (صغيرتي)، وهي موجهة إلى أخته الصغرى (منى) ولم يراع ترتيب زمني ولا غيره، مما يدل على أن وراء هذا الترتيب قصداً إلى الالتزام بأولويات الطاعة والبر اقتداء بقول الله عز وجل: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى ﴾(١) .

وفي تقديمه قصيدة (أمي) على قصيدة (أبي) مراعاة لدرجة البر وحق الإحسان، فقد ورد في الحديث الشريف تقديم حق الأم على حق الأب.

ومع هذا الالتزام الإسلامي الذي تبدو مظاهره واضحة من غلاف الديوان

---

(١) سورة النساء : آية ٣٦ .

وعنوانه وصفحاته الأولى، فإننا عندما نقرأ شعر إبراهيم عزت نجدنا مع المثل المنشود للشعر الإسلامي، ذلك الشعر الذي لايجور على حقائق الدين لإرضاء مقتضيات الفن، ولا يهمل مقتضيات الفن للتعبير عن حقائق الدين.

إن بعض الذين يتحمسون لقضية الأدب الإسلامي يبتدون صنعاً عندما يتصورون أن مجرد الوعظ ونظم التعاليم هو كل ما يطلب من الشاعر المسلم.

وإن بعض المتأخرين بقضايا الأدب الإسلامي يكتشفون أنفسهم عندما يقف الواحد منهم مرة في صف الشعراء الزاهدين، ومرة في زمرة الشعراء الماجنين ويتجاور لي شعره المسجد والحانة.

إن شعر إبراهيم عزت لم يخرج قيد أنملة عن حقائق الدين، ومعاني الإسلام، بل إنه في ظلال القرآن يسير، ومن سنة الرسول ﷺ يقتبس، ومن تاريخ صحابته يستوحي ويستدعي، وهو مع هذا كله لم يتحول إلى واعظ، ولا إلى ناظم حكم.

وكل قصيدة من قصائد شعره صالحة للتدليل على التزامه الإسلامي، وصالحة كذلك للبرهنة على اقتداره الفني، وسأقصر الاستشهاد هنا على المواطن التي يتضح فيها تأثره الواضح بالقرآن الكريم والحديث الشريف وتاريخ الإسلام ورجاله، اقتباساً أو استلهاماً واستدعاءً. من هذه المواطن:

قوله:

ذو النون في بطن الظلام حفظته
سبحانك اللهم نا الإحسان
وحميت موسى حين ألقى عاجزاً
في اليم بحمل آية الرحمن
كف العدو تحار في إشراقه
والله يحفظه ببعض حنان

لا الكبـــــد يجـــــدى لا ولا جنـد الـذي
تغتـــال سطوته ذوي الطوفـــان[١]

ففي الأبيات إشارة إلى قصة «يونس» عليه السلام وحفظ الله إياه في ظلمات البحر وبطن الحوت، وامتنانه سبحانه عليه بالنجاة، وإشارة إلى قصة (موسى) عليه السلام وحفظه الله إياه من فرعون بعد أن ألقته أمه في اليم، وكان الحنان الذي أوجده الله في قلب امرأة فرعون تجاه موسى سبباً في نجاته، والقصتان وردتا في القرآن الكريم في مواضع عديدة.

● قوله في قصيدة (صغيرتي) :

لاتعجبي صغيرتي
إذا رأيت دمعتي
فلست فارساً تعود الخطر
ولست عالماً بالغيب كي أدافع الشرور بالحذر
أنا صغيرتي بشر[٢]

فيه نظر إلى قول الله عز وجل :

﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٣] .

● في قوله من قصيدة (الألم) :

لابد ياأحبتي من الألم
ليسقط الكسيح
ليتهن تراقص الذبيح

(١) ديوان (الله أكبر) ص ١٤ ، ١٥ .
(٢) الديوان ص ٢٣ .
(٣) سورة الأعراف آية ١٨٨ .

ليختفي من قسوة النيران مرهف الطلاء والخبث

ليهتف الجميع

الموت للعبث

ليستبد بالمرواغ القلق

ليهدأ الشهيد إن صدق

فلم تزل مزاهر الحياة في القلوب

يصونها من الضياع أن ربها كبير

وأننا بركنه الشديد نستجير

وأننا بظله الحبيب نحتمي

وفي رياض وعده الوفي نرتمي

وإنه لحق

البيع رابح ورابح[1]

في هذا المقطع تأثر بالقرآن الكريم والسنة الشريفة، فحديثه عن الألم الممحص للقلوب، المظهر الصادق من الكاذب متأثر بمثل قول الله عز وجل:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[2].

وفي قوله: البيع رابح ورابح.

تأثر بقول الرسول ﷺ: ربح البيع أبا يحيى، مبشراً صهيباً رضي الله عنه، لما أقدم عليه من مكة إلى المدينة مهاجراً.

● في قوله:

---

(١) ديوان الله أكبر ص ٤٥.

(٢) سورة العنكبوت آية ٢.

الله أكبر بسم الله مجريها
الله أكبر بالتقوى مرسيها[١]

متأثر بقول الله عز وجل:

﴿ وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم ﴾[٢].

● وفي قوله:

الله قدر أن نرى يوماً بن
عمر يزول بنشوة البرين[٣]

متأثر بقول الرسول ﷺ: «لا يغلب عسر يسرين».

● وفي قوله:

سيقطف الثمار من سبق
ويغرق الطوفان من أبق
ومن أوى لقمة الجبل
يريد ولعصماً حياة[٤]:

متأثر بقول الله عز وجل:

﴿ قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴾[٥].

● وفي قوله:

فلتحكموا السفن لأن بحرنا عميق

---

(١) الديوان ص ٥.
(٢) سورة هود آية ٤١.
(٣) الديوان ص ٧٨.
(٤) الديوان ص ١٨.
(٥) سورة هود آية ٤٣.

واستكثروا من زادنا الأصيل

فلم تزل بعيدة نهاية الطريق[١]

متأثر بالحديث الشريف الذي ورد فيه توصية الرسول ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه، وكان مما قاله له:

«... وأوثق السفينة فإن البحر عميق، وخذ الزاد كاملاً فإن الطريق سحيق».

● وفي قوله:

أرفت وليس لردها أحد سواك

وبدت تطل برأسها نذر الهلاك[٢]

متأثر بقول الله عز وجل:

﴿ أزفت الآزفة ۝ ليس لها من دون الله كاشفة ﴾[٣].

أما تأثره بالسيرة الشريفة واستدعاؤه بعض مواقفها فيدل عليهما قصائده في مدح الرسول ﷺ، والتي منها: (يوم الحبيب ﷺ)[٤] و (المادحون)[٥] و(إسراه)[٦].

وأما تأثره بتاريخ الصحابة الكرام، وتوظيفه بعض مواقف هذا التاريخ وصوره، فيدل عليه قصيدته (مصعب بن عمير رضي الله عنه)[٧].

وفي هذه القصائد وغيرها نلتقي قيم الدين وقواعد الفن في انسجام متقن مرده

(١) الديوان ص ٤٨.
(٢) الديوان ص ٩٧.
(٣) سورة النجم الآية ٥٧، ٥٨.
(٤) الديوان ص ١٠٠.
(٥) الديوان ص ١٠٥.
(٦) الديوان ص ١١٣.
(٧) ديوانه ص ١٠٩.

في رأيي إلى أن «إبراهيم عزت» رحمه الله - كان شاعراً موهوباً عاش الإسلام، فلما شعر، وعبر عن حياته، لم يخرج عن حدود حياته التي صاغها دينه.

لقد أثمر الالتزام بالدين منهج حياة عند الشاعر أن جاء شعره حاملاً قيم هذا الدين في كل قصيدة، بل في كل بيت وفي كل سطر.

٣ ـ الأطر الموسيقية

موسيقى الشعر هي أحد الفروق الأساسية بين القصيدة وقطعة النثر، بل هي الفاصل الذي تميزه الأذن عند الاستماع لفرعي الأدب.

وكانت موسيقى الشعر مجالاً لخلاف كبير بين أجيال من النقاد والشعراء، ولا تزال آثار هذا الخلاف موجودة إلى يومنا هذا، بل إن الجدل حول موسيقى الشعر لم يته بعد.

وجوهر الخلاف يتمثل في مدى حرية الشاعر في أن يخرج على النظام الموسيقى الموروث للقصيدة العربية.

ولم تتوقف مسيرة الشعر حتى يتهي الجدل ـ بطبيعة الحال ولن تتوقف. بل إن كل فريق ذهب يصوغ الشعر في حدود ما رآه صالحاً، فبعض الشعراء وجد نفسه في الإطار الموروث، فنظم عليه، وبعضهم وسع دائرة الموروث، فعدد القوافي في القصيدة الواحدة، وكتب على نظام المزدوج والمربع والمخمس ـ وغيرها.

والبعض الآخر ذهب إلى مدى أبعد من التحرر، وأباح لنفسه أن يكتب الشعر الجديد. هكذا يسمى. المتحرر من النظام الموسيقي الموروث والذي أهمل وحدة القافية أو تناسقها على نمط معين، واكتفى بأن يكون الكلام الشعري منضبطاً بموسيقى الوزن أو التفعيلة محققاً لنوع من الإيقاع الذي لاتخطئه الأذن المدربة.

واستبدلت في هذا الشعر الجديد وحدة السطر بوحدة البيت.

ويبدو ـ في نظري ـ أنه ليس هناك مدى بعد ذلك يمكن التطلع إليه في التوسعة على الشعراء في مجال الموسيقى الشعرية، فإذا تحرر الشعر من القافية، ثم بعد ذلك تحرر من الوزن والإيقاع، فلن يبقى له من خاصية النغم التي تميزه عن النثر شيء.

ولقد انتشرت موجة الشعر الجديد في العقد السادس وما بعده من هذا القرن

انتشاراً واسعاً، وجلبت إلى تيارها كثيراً من الشباب شدة الأدب ومحبي الشعر، وكثير من هؤلاء الشباب - خاصة الذين لم يدرسوا قواعد العروض، ولم يتمرسوا على أساليب اللغة، ولم تكن دراستهم تراثية أو لغوية تخصصية - رأي في الشكل الجديد نمطاً أسهل للتعبير والتصوير من الشكل التقليدي.

وبالنظر في ديوان (الله أكبر) للشاعر «إبراهيم عزت» نجد أنه حاول أن يحقق توازناً فيما يكتبه بين النمطين، الموروث والجديد، فلقد حوى الديوان ثماني وعشرين قصيدة، منها ثلاث عشرة قصيدة على النمط الموروث، وخمس عشرة قصيدة على النمط الجديد.

أما القصائد الموزونة المقفاة فهي:

١ - الله أكبر: ومطلعها:

الله أكبر بسم الله مجريها
الله أكبر بالتقوى مرسيها

٢ - أمي. ومطلعها:

ماذا أقول شريكة الأحزان
جودي بفيض العفو والغفران

٣ - دعاء. ومطلعها:

أسبح ربي مثل الطيور
وأهتف باسم إله كبير

٤ - دعاء. ومطلعها:

الطف بنا عند النهايا سيدي
وامنن إذا كشف الحساب معتدي

٥ - كلنا مسافر. ومطلعها:

الناس كلهم إليه مسافرُ
والزاد بالدعاء زاد خاسرُ

٦ـ رباه . ومطلعها :

رباه إن عـــز المـــجـــيـــر بكربة
فلنا بـــحـــبـــك منـــة ورجـــاء

٧ـ ببابك ، ومطلعها :

بـــبـــابـــك لـن أغـــــادره
ولـن أســـعى إلى غـــيـــرك

٨ـ خطبة مسلم . ومطلعها :

نعم أهـــشق الوصل بعـــد الرفـــا
وأســـبح في روضـــه أنعم

٩ـ أزفت . ومطلعها :

أزفت ولـيس لردها أحـــد ســـواك
وبدت تطل برأســـهـــا نذر الهـــلاك

١٠ـ يوم الحبيب ﷺ . ومطلعها :

يوم الحـبـيـب الذي ترجى شـفـاعـتـه
من نور ســتـــه تزهو مـــرأعـــينا

١١ـ المادحون . ومطلعها :

المـــادحـــون تشـــرفـــوا بمـــديحـــه
والعـــاشـــقـــون تنعـــمـــوا بهـــداه

١٢ـ إسراء ، ومطلعها :

أيـات ربي عـلـى الأيام بـاقـيـبـة
والليـالي بهـا حـجـب وأضـواء

١٣ـ يارسول الله جئنا . ومطلعها :

أســـفـــر الفـــجـــر ولاحت
من ثـنـايـاه الـبـــشـــائـر

وست من هذه القصائد مصرعة المطالع، وعشر منها موحدة القافية، وثلاث جاءت على نمط المزدوج. وهي: دعاه (الثانية) و(كلنا مسافر) و (ازفت). والازدواج في القافية هو أن تتحد القافية بين شطري البيت الواحد، ثم تتغير من بيت إلى بيت[1] وهذا مثال لها من قصيدة (كلنا مسافر):

الناس كلهم إليه مسافر
والزاد بالتدماه زاد خسائر
والعمر يمضي غفلة لا تستحي
والقلب أشرب قسوة لا تسمحي
الطير سبح والملائك سُجَّدٌ
وبنُو آدم في الهوى متعبدُ
الرعد في جبروته يخشاه
فمن تلوذ إذا أتاك فناه

وأما قصائده التي جاءت على النمط الجديد المتحرر من القافية فهي (أبي. صغيرتي. زيارة. فلتطلق ابتسامنا في ليلة العزاء. وكان ملحداً ومات. الألم. لا تذكر الحياة. مرثيتي. اليوم عيد. وبعد. عذابنا. مصعب بن عمير رضي الله عنه. حبيبتي بلادي. لحظة الوصال. هو ذاك).

وهذه القصائد المتحررة من وحدة القافية لم تفقد الفنن الموسيقي، وحفلت بانسجام في الإيقاع وتناسق في نهايات السطور، وتناسب في الألفاظ والحروف، وروعة في التصوير، وسلاسة في التعبير جعلتها من أفضل ما كتب في الشعر الجديد.

وهذا مثال يوضح هذا الثراء الموسيقي في هذه القصائد. يقول في قصيدته (زيارة)[2]:

---

(١) انظر البناء الفني للقصيدة العربية د. محمد عبد المنعم خفاجي ص٧٩ مكتبة القاهرة.
(٢) الديوان ص ٢٦.

على مشارف تظل ألف يوم

ونحن نرتدي الرضا

ونصنع ابتسامنا من ذكره

ونرقب الحياة من بعيد

في جزيرة ببحره

تفتحت قلوبنا على نوافذ الخلود

تنفست زفرا تنافي واحة السجود

الكف حينما يصيبها الضنى

تمد بالرحيق حين تعصر البدان

صرخة على القيود

والعين حينما يشدها الشرود

تردها عينان عائدتان من حدائق الصمود

والقلب حينما يزوره الأسى

تضمه في برده الأمان بسمة الشهيد

الصبر

يعرف الجميع . رافق الخطى على الطريق

والحق بيننا

وصية الصديق للصديق

على مشارف تظل ألف يوم

نجمع الغنائم المهداة من مليكنا

امدنا بحبه فهان خطبنا

امدنا بروحه

فلم تزل مضيئة قلوبنا

أمدنا بزادنا

ورغم وحشة السفر

فإننا براحة ودودة نصافح القدر

وفي مقطع آخر من هذه القصيدة يقول[١] :

وأنت ياسنن . . يا أعذب السنن

وأنت تسألينني

لِمَ مضيت ؟

لِمَ تركت بيتنا برغم أنني أحبه

ناديتني صغيرتي

وما أجبت

لأنني أردت أن نصافح الحياة

حرة ومشرقة

مضيت ياصغيرتي مضيت

لتفتدي بأجمل الأيام في أعمارنا

حياتكم

لتحتمي بنبضة العروق في دمائنا

زروعكم

لتطفئ الحريق شب عاصفاً

وحام ياصغيرتي بداركم

مضيت هارباً من القيود

---

(١) الديوان ص ٣٢ .

كيلا نساق كلنا

في مركب العيد

وهذا مثال آخر من قصيدته (فلنطلق ابتسامنا في ليلة العزاء) يقول[١] :

هناك من هناك

القائد العظيم حوله بطانته

لاترهبوا عينيه رغم أنها تمور بالشرر

ولا تصدقوا حديثه عن أنه انتصر

فالغيب يحمل التأويل

ويحمل العزاء للجميع

للشيخ في انحنائه

وللرضيع

وللتي يلهب قلبها لحبها الصريع

والمتأمل في هذا الشعر يلاحظ أن أكثر السطور تنتهي بحروف مضعفة، وهذا الاتفاق يولد جرساً يعوض بعض التعويض عن القافية في الشعر الموروث.

انظر لكلمات الأخيرة وتوافق نهاياتها في المثال الأول :

(ذكره - بحره - الرضا - الضنن - بعيد - الخلود - السجود - القيود - الشرود - الصمود - الشهيد - العيد - الطريق - الصديق - مليكنا - خطبنا - قلوبنا) .

وفي المثال الثاني (منن - أعمارنا - كلنا - مضيت - أجبت - حياتكم - زورهكم) .

وفي المثال الثالث : (الشرر - انتصر - الجميع - الرضيع - الصريع) وهذا الفنن الموسيقي في شعر (عزت) الحر يجعله مقبولاً للأذن وسائغاً للنفس، ومرغباً للذوق.

---

(١) الديوان ص ٣٧ .

ولقد سلم هذا الشعر من العيوب التي أخذت على كثير من كبرائه وحملة لوائه، هذه العيوب المتمثلة في مخالفة قواعد اللغة والشرية والركاكة، وحمل مضامين تصادم عقيدة الإسلام، والتشبع بالرموز الوثنية، ومقولات العقائد الباطلة، والغموض[١].

* * *

(١) انظر: أزمة الشعر الحر وحلها في نظر أهل الحداثة د. حسن عبد السلام بحث نشر في مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة ١٩٩١م.

٤ ـ الصورة الشعرية

من أهم خصائص الشعر الجيد إيحاؤه بالمعنى دون كشف، وتأثيره في النفس عن طريق الصورة، قبل أن يؤثر في العقل عن طريق الفكرة.

الشعر لغة العواطف، وهذه اللغة مطيتها الخيال القادر على اكتشاف العلاقات البعيدة بين الأشياء، والقادر على تجسيد المعنوي، وتشخيص الجماد، وبعث الحياة فيما لا حياة فيه.

وشعر إبراهيم عزت في مجال التصوير غني جداً، ففي أكثر قصائده يرسم لوحات، ولا يسوق أفكاراً ولا يعدد أحداثاً، انظر إلى خطابه أمه إذ يقول[1]:

يا راحة العمر الغريب نعماني
ويها أطالع في الهجير أماني
في ظلها أشكو فراغ شباكه
وأبوح بالمكنون في خفقان
يا من بها فرحي غدا أنشودة
ولها أجدد بسمة وأغاني
وحنانها دفء يهدهد غربتي
ويد تكفكف وحشة الأحزان

تجد في هذه الأبيات الخيال الخصب الذي بفضله تحولت صفات الأم إلى صور متحركة، وخرجت من عالم الفكر الجامد إلى عالم الحس الحي، فالأم واحة تضم ابنها في ظلها، وهذه الواحة ذات الظل حنانها دفء يهدهد غربة الشاعر، ويد تخفف وحشة أحزانه.

وعمر الشاعر غريب، شباكه فارغة، لكنه في واحة أمه يرى أماناً في الهجير. وفي قصيدة (دعاء) ينظر الشاعر في كون الله فيراه لوحات ناطقة بقدرة الله عز

---

(١) الديوان ص ١١.

وجل، فيسبح ربه معها، وينضم إلى موكبها الحافل بالصور التي رسمتها كلمات الشاعر في قوله[1] :

أسبح ربي مثل الطيور
وأهتف باسم إله كبير
وأسبح لي بسمات الشروق
ولثم الندى لثغاء الزهور
ويعرف قلبي معنى الشموخ
وصرح الرواسي بضم الصخور
وحين يساق السحاب الجواد
ليحيي في الأرض موت القبور
وفي الشمس لفت بخدر الحياء
تنادى الأحبة عند البكور
وفي البدر طوق قدر الهلال
منازل تحكي خطاها الشهور
وفي النخل دان بقنواته
وفي النحل يجمع حلو العبير

وتأمل هذه الصورة الحبيبة إلى النفس، صورة اليسر يقف خلف العسر، بإذن المشيئة الإلهية لتمسح رحمته الآلام. وذلك في قول «عزت»[2] :

الله قدر أن نرى يومين
عسر يزول بنشوة اليسرين
فإذا ابتدانا العسر بالبشرانا
باليسر يبدى خلفه استبشرانا

---

(١) الديوان ص ٦٨.
(٢) الديوان ص ٧٨.

فلتعـــــري مـــا شـــئت بـادنيـــاتا
فـالخـيـــر مـــا اخـتـفت لنـا أخـرانا
فـــهـنـاك تـنـسى الـعـــين مـــا أبكـاها
كـالشـــمس تـنسى لـيلهـــا بضـحـــاها

وعندما يتحرر «عزت» من القافية تتراكم الصور في تعبيره وتقترب من عالم الرمز الدال الموحي وليس الرمز الغامض المغلق.

في قصيدته (أبي) يذكر لأبيه بعض ما رآه من ألوان العذاب في السجن. فكان مما قال:

النظرة المعقولة الشعاع تقتل الأمان في العيون

واللفظة المعذبة

تمزق الأستار في مجون

والصرخة المروّعة في الغرفة المفرغة

معروفة الجناز في حدائق الجنون

وفي كل سطر من هذه الأسطر صورة تتجاوز حدود التشبيه والاستعارة:

وتمضي القصيدة في التصوير حتى نجد:

وطائر الأمان قد مضى بلا وداع

لما بدت في أفقنا منائح الغربان

أردتني والكبرياء شامخي وللسماء هامتي

وزماتنا العجوز أحدب يغار

من هاماتنا التي تعانق الضياء

وأود أن أقف هنا عند (الزمان العجوز الأحدب الذي يغار من الهامات التي تعانق الضياء) ، لقد رسمت الكلمات صورة للزمان، ولايمكن أن يكون للزمان صورة، لكن مخيلة الشاعر رأته هكذا عجوزاً أحدب يغار من الشرفاء الأحرار الذين ترتفع هاماتهم نحو الشمس.

ومن الصور العجيبة أيضاً قول عزت:

والقلب حينما يزوره الأسى

تضمه في بردة الأمان بسمة الشهيد

الصبر

يعرف الجميع رافق الخطى على الطريق

فالأسى والصبر هنا شخصان يتحركان ، وبسمة الشهيد كذلك تضم القلب في بردة الأمان !

ومنها كذلك قوله في قصيدة (زيارة)

وأنت تعشق الرجال قد غدوت مثلهم

أحب أول الصفوف

نستكشف البحار والجبال والكهوف

ونشعل الضياء في الحروف

هنا نصافح الخلود

نمسك السحاب

نلمح الذي يكون في القمم

وفي خيال الشاعر «إبراهيم عزت» تجسدت قصة الدعاة المضطهدين فكانت

(حكاية معذبة - بحمرة الدماء مشرية، حزينة وصارمة، ورغم زفرة الأنين عارمة، ومع هذا فأمله يبدو أيضاً متجسداً في هذه الصورة:

دمانا بنورها ستخنق الظلام

طوفان دمعنا

سيغسل الأحقاد

ولبظهر تميز شعره في جانب التصوير، ستنظر لي قصيدة له وقصيدتين لشاعرين آخرين، والقصائد الثلاث تحدثنا عن محنة السجن التي ذاقوا مرارتها في سجون العهد الظالم، وهذه القصائد هي:

قصيدة إبراهيم عزت (وبعد)[١]

وقصيدة يوسف الفرضاري (الملحمة النونية)[٢].

وقصيدة نجيب الكيلاني (حيتي لما اعترفت)[٣].

الأولى تصور، والثانية تصف، والثالثة تقص.

فلنعرف القصة أولاً من نجيب الكيلاني:

جدران سجننا سميكة

والسقف فولاذ وصخر وقدر

حيتي من أجل ذلك اعترفت

وقلت كل شيء كان

كل شيء لم يكن

صبرت

حتى الصبر قال لي «اعترف»

---

(١) ديوان (الله أكبر) ص ٥٩

(٢) شعراء الدعوة الإسلامية ص ٣ ص ١٨.

(٣) ديوانه (أغنيات الليل الطويل) مخطوط ص ٣٧.

الموت .. والجلاد.. والسياط.. والكلاب

واعين جواحظ تموت

تنذر بالعواصف المدمرة

لكنها تموت

وقلت يا حبيبتي بأنني

قد خنت سيدي

وهو ولي نعمتي

ذلك الذي جاء لي بعزتي

حريتي

كرامتي

وأنني الضليع في المؤامرة

ولست ادري ما المؤامرة

وماذا يفعل البريء حين يتهم

إذا صمت

إذا اتخرس

فهذه إدانة مؤكده

رجلاي في سلاسل السقوف

وراسي المدلى المحتقن

تركله الأحذية الثقيلة

...

وعاد سيدي المطاع والزبانية

وما استطعت أن أميز الوجوه

من البشر ؟

من الكلاب

لا أعي

حتى السياط والأكف والإبر

وانتزاع أظفري

وهل يضير الشاة سلخها

إذا ذبحتها

لكن قلبي خافق

لم يبق لي سوى اللهاث يحترق

سوى الفؤاد يختلج

وقال لي : أتعترف ؟

منذ ثلاث لم أنم

لكم أريد أن أنام

وقلت في مرارة :

فلتجهزوا الوثيقة

قالوا نعدها

قلت الورق

أريد رقعة بلا حروف

بيضاء أو صفراء لا يهم

لكني أخط عند ذيلها

اسمي واسم أسرتي

بمحض رغبتي

وفهقه المفتش الكبير

- أنحن نفتري عليكم الكذب ؟

معذرة إليك سيدي

فأنت صاحب الولاء والوفاء والأدب

إني اعترفت بالذي جرى

وكنت أنوي قتلكم

وكنت أبغي سحلكم

قررت ان أغير النظام

وتمتم المحقق الكبير ، وانبرى مفسراً

فإنه إنقلاب . .

من الذين حرضوك ؟

من تراهم مولوك ؟

أو دربوك ؟

أو زودوك بالسلاح ؟

حيثي قد اعترفت

واعترافي ناقص

وليس لي من مخرج سوى المزيد

والمزيد من الكلام

لأنهم لا يقتنعون

حبيبتي قد قلت كل شيء
ما عرفته
وما جهلته
وما يراود الفؤاد من أحلام
أو جال في سريرتي
ونزوتي من الأوهام والأحزان
أو طاف لحظة بخاطري
حتى مهازلي
نوادري
و(نكتة) سمعتها من (الترام)
حتى رؤاي في المنام
ذكرتها لهم
وهم يفسرون كل ما أقول
وليس لي سوى المثول والقبول
أنا البرئ والأثيم
والقائل الخؤون والفتيل
وإنني الدليل
حتى وإن لم يطلبوا الدليل
جميع ما يسطرونه من الكذب
مقدس . . بلا شكوك أو ريب
الأصل عندهم هو الإدانة

وإن تشددوا بالعدل والأمانة

«سبحانهم . . سبحانه»

وقلت في النهاية :

«قتلته . . ذبحته . . أبدته

حتى إذا عاد إلى الوجود دمته

واغتلته »

تبسم المحقق الرصين

وقال في قراره المكين :

«قد اعترفت . .

إن الذي قتلته في حقدك المجنون لم يمت

لأنه كما تراه خالد عريق

من نحته ترقرق الأنهار

ماأنت إلا دودة حقيرة صرصار

فبابه . . بعوضة . . بلا اعتبار

هذه حكاية اعتراف الكيلاني في السجن الحربي بأنه كان متآمراً على النظام في العهد البائد. اعتراف منتزع تحت وطأة التعذيب الجهنمي ، لأن القوم كانوا يريدون اعترافاً بأي شيء وبكل شيء. والقصيدة طويلة جداً، وهي تقص علينا أطرافاً مما كان يحدث في غياهب السجون التي امتهنت فيها قيم الحق والعدل، واغتيلت فيها كرامة الإنسان.

وهذه المأساة نفسها يصفها يوسف الفرضاوي فيقول في (السلحمة النونية):

في ساحة «الحربي» حبك باسمه

من باعث للرعب قد طرحوني

مـــا كـــدت ادخل بابه حـــتى رأت
عـيناي مـالم تحـتـسـبـه ظنوني
في كل ثـــوب لـلعـــذاب مناظر
يندى لهـــا . والله . كل جـبـين
هذا هو «الحـــربي» مـــعـــقل ثورة
تدعـــو إلى الـتـحـــرير والتكوين
فـيـــه زبانيـــة أعـــدوا للأذى
وتخـصـصـــوا في فنه المـلعـــون
مـتـبلدون . عـقـولهم بأكـفـهم
وأكـــفـــهم لـلشـــر فات حنين
لافـــرق بينهـــم وبين سـياطهم
كل أداة في يدي مـــأفـــون
يتلقـفـــون القـــادمـين كـأنهم
عـــثـــروا على كنز لديك ثمـين
بالرجل . . بالكرباج . . باليـد . . بالعصا
وبكل أسلوب خـــبيث دون
تالله ليس الآدمـيـــة منهـــو
من مـثل مـحـمـود ومن ياسين
من جـــودة أو من دياب ومـصطفى
وحـــمـــادة وعطيـــة وأمـين
لاتحـسـبوهم مسلمين من اسمهم
لادين فـيـهم غـيـر سب الدين
لادين يردع . . لا ضـمـيـر مـحاسب
لاخـوف شـعب . . لا حـمى قـانون

من ظن قـــانوناً هناك فـــإنمـــا
قـــانوننا هو (حـــمـــزة البـــبـــونى)
جـــلاد ثورتهم وســـوط عـــذابهم
ســـمـــوه زوراً قـــائداً لـــلـــجـــون
اســـمـــعت بالإنســـان ينفخ بطنه
حـــتى يرى في هيـــئـــة البـــالون؟
اســـمـــعت بالإنســـان يضـــغط رأســـه
بالطوق حـــتى ينتـــهين لجنون؟
اســـمـــعت بالإنســـان يشـــعل جـــسـمـه
ناراً وقـــد صـــبـــغـــوه «بالفـــزلين»؟
اســـمـــعت مـــا بالفن البـــرئ ويصطلي
حـــتى يقـــول : أنا المـــســـيح خـــذوني؟
اســـمـــعت بالآهات تخـــتـــرق الدجى
رباه عـــدلك.. إنهم قـــتـــلوني !!
إن كنت لم تـــسمع فـــسل عـــمـــا جـــرى
مـــئلين ولا ينبـــئك مـــثل مـــجـــبـــن
ولســـأل ثرى «الحـــربي» أو جـــدرانه
كم من كـــبـــير فـــيـــه أو مطعـــون
وسل الســـياط الســـود كم شـــربت دمـــا
حـــتى غـــدت حـــمـــراً بلا تلوين !
وسل «العـــروســـة» قـــبـــحت من عـــاهر
كم من جـــريح عندها وطعـــيـــن !
كم فـــتـــيـــة زُفـــوا إليـــهـــا عنوة
ســـقطوا من التـــعـــذيب والنـــوهين

واســـــأل زنازين الجليـــــد تجـــــبك عن
فن العـــــذاب وصنعـــــة التلفـــــين
بالنار او بالزمـــــهـــــرير . . فـــــتلك في
حـــــين ، وهذا الزمـــــهـــــرير بحـــــين
بلقن الفـــــنن فـــــيـــــه لبـــــالي عـــــاريـاً
او شـــــبـــــه عـــــار في شـــــتـــــا كـــــانون
وهناك يملي الاعـــــتراف كـــــمـــــا اشـــــتـــــهـــــوا
اولا . . فـــــويل مـــــخـــــالف وحـــــرون

وهذه الملحمة ايضاً طويلة جداً، وهذا القدر منها يكفي للدلالة على اسلوب صاحبها في وصف مآسي التعذيب في السجن الحربي وقد وردت فيها اسماء بعض الضباط والجنود، واسماء بعض آلات التعذيب، ووصف طرائقه، وهو اسلوب يختلف عن اسلوب الكيلاني الذي قص به قصة اعترافه.

اما «إبراهيم عزت» فعندما اراد ان يحدثنا عن هذه المأساة سلك سبيله الذي تجده في سائر شعره، سبيل التصوير، الذي يوحي ولا يصرح، وينقل الأثر النفسي دون ان يسرد احداثاً او يذكر اسماء او يصف وقائع. في قصيدته (وبعد) يقول «إبراهيم عزت» مصوراً ما قصه الكيلاني، وما وصفه الفرضاوي:

وبعد ما رأيت ما رأيت
وبعد ما عرفت ما عرفت
الموت حينما دنت مخالبه
والليل حينما اعتدى على الصباح ضارياً بغالبه
الموت كان امنيه
والموت كان للجراح اغنيه
واختار من صفوفنا

أحب من رأت عيونا

واختار من صفوفنا الكبار

واختار من صفوفنا الرجال صانعي النهار

واختار للذري أحبة كرام

تحية لهم سلام

حياتي تسبحان في الشرود من يومها

من يوم أن تحرك الفناء فوق كل أخضر

ياواحة الأمان أقفري

قد استبيحت الحرم

وسيقت النساء والأطفال للحمم

ليطعموا لوحشة الظلم

ليطفئوا ابتسامة الصغير

ليهتكوا قداسة الحرم

وضجت الأصوات تستغيث ربها

في الليلة التي بكى بها الحصن من شهقة الدماء

وحملت رياحها بألف آه

الكون كله يقول آه

وبالذلة ترادد بالجباه

. . .

تكسري سنابل العطاء واسجدي

ومرغي تبجاتك الشماء في الثرى

ياخضرة الزيتون

فلترتدي السواد فوق كل عود أثمرا

ويامدامع السحاب طوفي على الديار

وأودعي بكل شبر دمعة من السماء

واكتري على المحارم البكاء

اكتري البكاء

وياشذا الريحان

قبلها تفوح بالعبير

أود أن اذكرك

بأنهم لحظة من الظما تفقدوا

ولم يكن هناك ماء

وأنك لرتويت يومها بأقدس الدماء

الحرة الطهور بالحرمة الطهور

تعذب القلوب في ملامح الزهور

الحرة التي تداس بالهولها

عوبلها

يحرك الصخور في جبالها

فيصرخ الملك

يهتز في انتظار ومضة لمن ملك

...

سألت خالقي وكلنا سأل

لمن لمن تركتنا

سألت خالقي إلى متى

ستطعم الكلاب ما وهبتنا
الهول بالقسوته
محافل تضم ألف سوط
والموت قادم بدوس فوق موت
وبعد . .
وبعد ما رأيت ما رأيت
عرفت كيف يقهر الرجال بالضنن
عرفت
وفي مواقع من الأسن بكيت
تحرك الشيطان حاملاً سلاحه
ومضمراً لكل بسمة للنور في صدورنا نواحه
واطلق الدخان خانقاً
وبكل حقده الذي يضمه هوئ
رأيت كبرة الجراد مضنية
رأيت دمعة الجسور مبكية
وبعد . .
وبعدما رأيت ما رأيت
هل تعود للطريق هل تعود
وقبل أن اجيب
تحركت مدامعي هدية لمن مضئ
وأرهفت مسامعي
لأستعيد من مواطن الغيوب

وصية سمعتها في لحظة من الرضى
واهتز قلبي الذي قد هده العذاب
أحـــس رعشة بجسمي الذي
يخاف غضبة الكلاب
وجاء ضعفي الكئيب جاء
عرفته في كل لحظة من الضنى قد عشتها
أنى يقدم الرجاء
تعلقت عيناه بالجواب
عرفت قصة الطريق كلها
الموت أول العطاف
لكن خضرة الطريق لا يصيبها الجفاف
قادم وقادم وقادم
إشراقة مضيئة تجيء في الختام
تقدموا تقدموا
لبعد لحظة من المسير
ينتهي الزحام

نحن هنا بإزاء شعر يصور، لا يصف ولا يسرد، نظالعنا فيه لوحات تفجر في نفوسنا أحاسيس غامضة ومشاعر فياضة، تنقلنا إلى حالة من الحزن الشفيف، والتعاطف الرهيف مع هؤلاء الذين عاشوا الأهوال التي تصورها هذه اللوحات.

الموت تدنو مخالبه، والليل يمتدي على الصباح ضارباً بذاله، وفناء يتحرك فوق الخضرة، واحة للأمان تقفر، نساء وأطفال يساقون للعذاب يطعمون لوحشة الظلم، ابتسامات الصغار تطفأ، الأصوات تضج مستغيثة، والحصن يبكي من شهقة الدماء، والريح تحمل ألف آه، سنابل العطاء تتكسر، وتيجانها تمرغ في

التراب والزيتون يرتدي السواد، والسحاب يبكي في كل شبر من الديار من أجل المحارم التي انتهكت الريحان يرتوي بدماء الشهداء، والحرة التي دنست كرامتها تعول، فتتحرك لعويلها صخور الجبال، ويهتز من أجلها الملك في السماء يريد أن يتقدم لها من الجبناء.

هول قاس يتمثل في محافل تضم ألف سوط وموت يدوس فوق موت.

والشيطان يتحرك في ساحات البغي حاملاً سلاحه، مطلقاً دخان غضبه، يهوي بكل حقده، قاتلاً أو معذباً. وقلب الشاعر وسط هذا الجو العاصف الرهيب يهتز، وجسمه يرتعش، وضعفه البشري حضر، وإنه ليعرفه، رآه قبل ذلك في كل لحظات العذاب.

أتى يقدم الرجاء، وعيناه معلقتان بالجواب، يريد أن يسمع من الشاعر ما يفيد تراجعه عن طريق الدعوة والإيمان. يريد أن يستريح من هذه القصة - قصة الطريق - الذي أوله موت وآخره جنة خضراء. أرأيت إلى هذه الصور التي حشدها الشاعر حاملة نبض قلبه ووساوس نفسه ودقائق حسه، حافلة بالعواصف والرعود، و الملأى السود، التي حزنت لها الأرض واهتزت السماء. هذا هو الفرق بين التصوير وبين الوصف والسرد، وهكذا كان «إبراهيم عزت» مصوراً في أكثر شعره.

* * *

٥ ـ النزعة الدرامية والوحدة العضوية

المقصود بالنزعة الدرامية في الشعر، أن تشتمل القصيدة على صراع وحركة، وتصوير لتناقضات الحياة، وعناصر هذه النزعة تتمثل في : الحدث والحوار ورؤية الشاعر الخاصة.

والمنظرون للشعر الجديد (الحر) يحتفون بهذه النزعة فيه ويعدونها من الأمور التي تميزه عن الشعر التقليدي[١].

والحق أن هذه النزعة موجودة في الشعر العربي القديم متمثلة بوضوح في قصة الصيد التي تحتوي على جميع عناصر هذه النزعة، فهي ليست من ابتكار الشعراء المحدثين، وإن كانوا قد توسعوا فيها.

وبالنظر في شعر «إبراهيم عزت» نجد هذه النزعة واضحة جداً عنده، ويرجع وجودها على نحو مكثف عنده إلى أن أكثر شعره تصوير لتجربته في الدعوة وما تحمله في سبيلها. وهذه التجربة تتشكل من أحداث مثيرة، وصراع بين الخير والشر، ومواجهة بين كثير من المتناقضات، ولقد استوعب شعره عناصر هذه النزعة جميعاً: الحوار الداخلي، والحوار الخارجي، والأسلوب القصصي.

ومن المواضع التي يمكن استكشاف الخيط الدرامي فيها قوله من قصيدة (لبى):

فلتوقد النيران

وليسقط الإنسان بين شقي الرحى

كي تختفي معالمه

وليرقص الشيطان في أبهائه الحمراء

يا أيها الطيور لا غناء

---

(١) انظر الشعر المعاصر د. عز الدين اسماعيل ص٢٧٨ وما بعدها. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة.

فمن له تغرد دون قد نزل

ولتقبل الزهور على رنا

فعرسنا

من قبل بدئه انتهى

والصاحب الحبيب دون موعد رحل

ولعل أدلّ قصيدة على الصراع (صراع الشاعر مع ضعفه ومحنته، وعلى الحركة، وتصوير التناقضات، قصيدة (عذابنا) والتي يقول فيها:

أغالب النحيب والعويل والصراخ

أغالب الكلام والدموع

أغالب النظرات

فكل ما نقوله من الكلام عاجز

مهدم

مقيد

وكل ما نراه رهن معذب

يا خالق الحياة والممات

يا مجري السحاب

يا معظم

نعوذ بالرضا من قسوة الجنون

حتى نقول ما نحب أن نقول

متى يموت قهرنا

متى يثور سيدي بركاننا

متى نلقب الأشياء بالذي يوافق الأسماء

ونصنع الحقيقة المقدسة
حقائق الحياة كلها مزيفة
الخير شر مطبق فمزقوا رداءه
والشر في عوائه الكئيب غاده
بساق في أعقابها المدبح
إياك أن تحب خضرة الزروع
ما أجمل السواد
ما أرق بومة تنوح فوق دارنا
ولتذبحوا الحمام
ولتقتلوا الأطفال
ولتحرقوا الأزهار كلها
لكي يسير ركبهم
بومة الحبيب كلها تحققت
فلم تعد عيوننا لشدة الظلام تبصر
فإن رأت فما الذي يفيد أن ترى
أو لا ترى

فافتتاح القصيدة بالفعل (أغالب) وتكراره ثلاث مرات متتالية يدل بوضوح على شدة الصراع واحتدامه، وتحت قوله (حقائق الحياة كلها مزيفة) . احتشد عدد كبير من الأمور المتناقضة التي أذكت الصراع والهبته في نفس الشاعر .

فالخير شر مطبق، والشر في عوائه الكئيب غاده، والسواد جميل، ونواح البوم رقيق، وتتصادم الأفعال المراد فعلها في هذا الجو المظلم مع العقل والفطرة.

ف (إياك أن تحب خضرة الزروع - ولتذبحوا الحمام - ولتقتلوا الأطفال، ولتحرقوا الأزهار كلها) .

أما رؤية الشاعر الخاصة، فيدل عليها رفضه لهذا المناخ الشاذ، وتساؤله عن موعد نهايته، واستعاذته بالله من قسوة الجنون، وتمنيه أن تصحح الأوضاع، فتلقب الأشياء باللذي يوافقها من الأسماء .

وقصائده (الألم) ، (وزيارة)، و(فلنطلق ابتسامنا في ليلة العزاء) و (بعد) كلها غنية بالصراع والأحداث حافلة بتصوير المتناقضات .

ومن القصائد التي استعان الشاعر فيها بأسلوب الحوار : (أمي ، أبي، صغيرتي، مرثيتي، وحبيبتي بلادي) ويستدعي إبراهيم عزت بعض قصص الموروث الشعبي فيضمنه بعض قصائده فيقول مخاطباً أخته الصغرى :(١)

وحينما نرد ياصغيرتي لدارنا
وتسألين عن هديتك
ستسمعين ياأميرتي
حكاية الشاطر حسن
مضى ليقهر الغيلان في المدينة الخضراء
وحينما التقى بالأعرج الحقود هذه
بطعنه من خنجره
واستخلص الحسناء
روى حقول قمحنا بدمعه
وجاد بالدماء
ستعرفين قصة الحمامة البيضاء
وقصة الطيور والغناء

(١) الله أكبر ص ٣٣ .

وقصة الغراب والخراب

والأسد والذئاب والكلاب

وقد تستقل القصة بقصيدة، فتأتي القصيدة كلها مثل قصة قصيرة، لكنها لاتفقد روح الشعر، وذلك كما في قصيدة (مصعب بن عمير، رضي الله عنه) التي يقول فيها "إبراهيم عزت"[1] :

وكان مصعب معطراً

بأندى العطور

وكان يلبس الحرير

وكان شامة أحبت الحياة

وزهرة تنفست روائح النعيم

وفجأة تغيرت ملامحه

وحينما رأته أمه تجهمت

نادت أباه

يا عمير

صغيرنا الحبيب مثل بسره

لابد أنه أحب .

. . .

هون عليك يافتن

لو أن من أردتها تقيم في القمر

لو أن دارها بعيدة

عصية السفر

لو أنها تقيم في جناح طائر

(١) الله أكبر ص ١٠٩ .

أو بين أنفس الدرر

لأتت إليك إن أمرت دون لمحة البصر

ضحك الجميع حوله

لكنه لم يبتسم

وسرى الوجوم قاسياً

على مشارف النغم

وطال صمته

حتى انتهى مطاف صبرهم

فتحركت في البيت صيحة الغضب

لابد من نهاية لذلك العجب

ولم تطل إجابته

في لفظتين قالها (لا إله إلا الله محمد رسول الله)

وتحرك الطوفان نحوه

لكن سره المنيع صده

وتتمثل في هذه القصيدة عناصر القصة كلها، الأحداث والحوار والشخوص، والحبكة، وهي مع ذلك شاعرية اللغة والتصوير، خاصة في مقطعها الأوسط:

هون عليك يافتن

لو أن من أردتها تقيم في القمر

لو أن دارها بعيدة

عصية السفر

أو أنها تقيم في جناح طائر

أو بين أنفس الدرر

ومن قصائده القصصية أيضاً قصيدة بعنوان : (وكان ملحداً ومات) وهي تتحدث عن ملحد عاش حياته يتاجر بالخطب عن نصرة العامل والفلاح، ويكره المؤمنين، ثم مات، فقرئ القرآن في مأتمه، ولم يستطع أن يحاصر النور، أو يمحو القرآن ، والقصة محدودة في أحداثها ضعيفة في حبكتها، لكنها تحمل مفارقة مثيرة، فهذا الملحد الذي يكره الإيمان يقهر بالموت، ويعلو صوت القرآن رغم أنفه في مأتمه ، يقول «إبراهيم عزت» :

عرفته
يحب أن يقال عنه إنه المناضل الكبير
يمجد الإنسان
ويطلق الكلام ثائراً عن نصرة العمال والفلاح
كالفارس الذي خلا أمامه الميدان
لكن قوله
رغم أنها تضج في المكان
فإن جرسها يموت في الآذان
وتنتشي الجموع لحظة
في غمرة الصياح
وحينما تهم بالرواح
تشد خطوها إلى الوراء
ويختلي الإنسان بالإنسان
في رحبة الخلاء
لتهمس القلوب للقلوب

قد كان كاذباً برغم ما بدا عليه من عناء

. . .

ملاق لفظه يفوح بالجفاء

لأنه لا يعرف الإله

وليس في جبينه وضاءة السماء

ويكره الخطى إذا مشت لمسجد

ويدعي بلاهة الذي يرى وجوده

في ظل معبد

والآن هذه بقيته

ترقبوا حكاية المختام

وصورة تنام تحت أحرف السواد

في أخر الصفحات

وقد شيعت بهذه الكلمات

عزاؤه بمنزله

وصمته يذوب في المكان

قد مرَّ فوقه الزمان

. . .

والصائم المهيب ذاع سره

والغيث لاح قطره

والنور في إصراره العجيب

يعبر الدجى لفجره

فلتخشع الأصوات للرحمن

ولتنصت الأكوان

فالشيخ قد بدا . . يرتل القرآن

القرآن . . القرآن

ومن حسنات هذه النزعة أنها تحقق قدراً كبيراً من الوحدة العضوية للقصيدة، فترابط الأحداث وانتقال الشاعر من موقف إلى موقف آخر مترتب عليه، وتنامي المواقف لتصل في نهاية القصيدة إلى ما يشبه انفراج الأزمة في القصة، كل ذلك يؤدي إلى قدر من الوحدة العضوية، يعصم القصيدة من أن تكون أفكاراً مبعثرة أو خواطر متفرقة.

وتظل القصيدة مع ذلك - صالحة لحذف أجزاء منها أو نقل جزء من موضعه إلى موضع آخر، دون أن تفسد - غالباً.

ومعروف أن العقاد - رحمه الله - كان قد ذهب في فهم الوحدة العضوية إلى مدى بعيد، فاشترط لتحققها استحالة حذف بعض الأبيات أو نقلها من موضعها إلى موضع آخر دون أن يحدث في القصيدة خلل بين، كما يستحيل هذا الحذف أو النقل والتغيير في أعضاء الكائن الحي دون أن يشوه[1].

وفرق كبير بين من القصيدة والكائن الحي من هذه الوجهة، وليس هناك كلام ينطبق عليه هذا سوى كلام الله عز وجل.

وحسب القصيدة أن تكون مترابطة الأجزاء، متماسكة البناء، والترابط والتماسك أمران نسبيان، ونسبة تحققهما في الشعر ذي الصبغة القصصية أكبر منها في غيره.

* * *

(١) راجع تفصيل ذلك في: العقاد ناقداً. د. عبد الحي دياب ص ١١٠ دار الشعب بالقاهرة ١٣٩٠-١٩٧٠م.

٦ ـ نقد وتقويم

مع تقديرنا للتجربة التي اخلص لها الشاعر «إبراهيم عزت» ووقف عليها شعره، فإننا كنا نود انطلاقاً أوسع مدىً ، وإبداعاً أرحب افقاً، وتنويعاً في مجالات القول، يتناسب مع الموهبة الكبرى التي أنعم الله بها عليه، ويتناسب أيضاً مع رحابة التصور الإسلامي وشموله للكون كله والحياة جميعها ، والمجالات التي يمكن للشاعر الإسلامي أن ينطلق فيها ليست محصورة في حقائق الدين وعقائده واحداثه ، بل إن الوجود كله هو مجاله .

يقول الأستاذ محمد قطب[1] :

«قد يتحدث لنا الفنان عن البرعم النابض الذي ينبثق من ضمير الحياة .

قد يتحدث عن الجبل الشامخ الأشم

قد يتحدث عن نبتة وحيدة في الصحراء

قد يتحدث عن الليلة المقمرة

قد يتحدث عن طفلة شريدة

قد يتحدث عن مواجع البشرية

قد يتحدث عن ضربة من ضربات القدر

قد يتحدث عن صراع الناس في الأرض

قد يتحدث عن بطل اسطوري

قد يتحدث عن ذلك كله فيكون فنه إسلامياً، إذا تلقاه في حسه بتصور الإسلام الصحيح وعبر عنه بروح ذلك التصور .

وأكثر هذه المفردات لم يحظ بنصيب في شعر (عزت) بل إن الطبيعة الجميلة، بمناظرها الساحرة والأسرة ومظاهرها العجيبة والرهيبة، لم تستثر

---

(١) منهج الفن الإسلامي ص١١٩، دار الشروق بالقاهرة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

شاعريته وعلى الرغم من تطوافه ببلاد الدنيا، واطلاعه على بيئات مختلفة ونضاريس متنوعة، وأجواء متباينة، فإننا لانرى في شعره وصفاً لغلبه. ولاحديقة، ولا جبل، ولانراه يتوقف عند مشهد للمطر، أو الرعد أو الليل، أو الفجر مثلاً.

ومع أن شاعريته اهتزت لزيارة الرسول الكريم ﷺ أكثر من مرة، فكتب في مديحه عدة قصائد من وحي هذه الزيارات، فإننا لانجد مشهد الحجيج أو جلال الكعبة أو جمال زمزم، يثير هذه الشاعرية.

ولا تظفر في شعره كذلك بشيء عن حياته الخاصة في محيط أسرته بعد زواجه وإنجابه. ويبدو أن هذه الشاعرية استنفدت طاقتها في التجربة المريرة التي ألمت بالشاعر في أول شبابه، وأنها بعد ذلك انطفأت أو خبت لما شغل الرجل نفسه بهموم الدعوة، والعمل لها، فلم يبق عنده وقت للشعر.

كما يبدو أن انشغاله بهذه الهموم لم يدع له فرصة لمراجعة ديوانه، وتصويب بعض الأخطاء اللغوية والموسيقية، والتي يرجع أكثرها إلى عدم تخصصه في دراسة اللغة (نحواً وصرفاً وعروضاً).

ومن هذه الأخطاء:

● عدم جزم الفعل المضارع بعد لم في قوله[1]:

ماذا نقول لربي حين يسألنا
عن الشريعة لم نحمي معالمها

ويبدو أنه ضحى بالقاعدة النحوية لتسلم له موسيقى البيت لأنه لو حذف الياء من (نحمي) لانكسر، وكان يمكن أن يصح البيت هكذا:

ماذا نقول لربي حين يسألنا
عن الشريعة لم نحفظ معالمها

● قوله[2]:

---

(١) الديوان ص٨.
(٢) الديوان ص ١٥.

وأتم إن شـــــاء الله رســـــالتي
حـــتى أنال شـــفـــاعـــة العـــدنان

فالبيت هكذا مكسور ، ولا يصح إلا باستبدال لفظ الإله بلفظ (الله) فيكون البيت :

وأتم إن شـــــاء الإله رســـــالتي
حـــتى أنال شـــفـــاعـــة العـــدنان

● قوله[١] :

وريح تذكـــره ومـــزن ســـحـــائب
والطيـــر ســـبـــحـــه على الأغـــصـــان

البيت مكسور أيضاً : وصحته :

والريح تذكـــره ومـــزن ســـحـــائب
والطيـــر ســـبـــحـــه على الأغـــصـــان

● قوله[٢] :

والغـــيـــث تصنعـــه يد قـــدســـيـــة
والحب ذو عـــــصـــف وذو ريحـــــان

أخطأ بإضافة (ذو) إلى (ريحان) لأن المعنى على هذا الوضع يكون وصفاً للحب بأنه ذو عصف وذو ريحان ويبدو أنه حقق للبيت سلامة الوزن في غفلة عن صحة المعنى ، ولم يتذكر أن الآية القرآنية التي اقتبس منها هذا التعبير ، لم تفد أن الحب ذو ريحان ، فلفظ (الريحان) في الآية الكريمة ﴿والحب ذو العصف والريحان﴾ جاء مرفوعاً ، ولم يأت مجروراً .

● قوله : فلتجتني حصادنا بكبرياء[٣] .

---

(١) الديوان ص ١٦ .
(٢) الديوان ص ١٦ .
(٣) الديوان ص ٢٠ .

أثبت حرف العلة (الياء) في الفعل المجزوم بلام الأمر، والصحيح (فلنجتنن).

● قوله[١] :

زد في السؤال يزيد ربك في العطا
فعليكنا يعطن على قدر الرجا

أثبت عين المضارع (يزيد) وهي الياء، والفعل مجزوم لأنه واقع في جواب الأمر (زد) والصواب حذف عينه حتى لا يلتقي ساكنان، ويصح البيت هكذا:

زد في السؤال يزدك ربك في العطا
فعليكنا يعطن على قدر الرجا

● قوله[٢] :

نعم أعشق الوصف بعد الرضا
وأسبح في روضه أنعم

البيت مكسور، ويسلم بحذف واو العطف الأخيرة فيكون:

نعم أعشق الوصل بعد الرضا
وأسبح في روضه أنعم

● قوله :

ولتهتكوا حرمات أشرف النساء
ولتفحكوا مما يغار له الحياء

مكسور، وتصحيحه مع المحافظة على لفظه ومعناه:

ولتهتكوا الحرمات في خير النساء
ولتفحكوا مما يغار له الحياء

(١) الديوان ص ٧٧.
(٢) الديوان ص ٩١.

● في قوله:

لن تبكهم أرض تروت بالدماء

لن يحتفن بفقدانهم أهل السماء

جزم الفعل المضارع المسبوق بـ (لن) وحقه النصب (تبكيهم) لكن نصبه بكسر الياء: وليصح نحوياً وعروضياً يصبح هكذا.

لن يحزنوا أرضاً تروت بالدماء

لن يحتفن بفقدانهم أهل السماء

● في قوله:

وغداً سنفرحك ملء قلوبنا

في دار خلد زينت بحبيبنا

لابد من إضافة كلمة (كل) قبل (قلوبنا) ليسلم الوزن فيكون:

وغداً سنفرحك ملء كل قلوبنا

في دار خلد زينت بحبيبنا

وهذه أخطاء هينة لاتذهب بشيء من قيمة شعر (إبراهيم عزت) التي تتمثل في أنه شعر راقٍ في معانيه وصوره وأساليبه، وأنه يحمل هموم داعية أخلص في دعوته، وأنه متنوع الأطر الموسيقية، غني في إيقاعه ونغمه، في شكليه التقليدي والجديد، وأنه لم يتورط في عيوب الجمود التقليدي ولا عيوب الانفلات التجديدي، فبرئ من الغرابة والغموض، والركاكة والضعف، وسلم من التورط فيما تورط فيه كثير من معاصريه الذين ارتموا في أحضان الحداثة دون وعي، كما تتمثل قيمة هذا الشعر في جمعه الموفق بين حقيقة الدين وروعة الفن - من غير أن تضعف إحداهما الأخرى.

* * *

القسم الثالث

مختارات من شعره

١ - رباه

٢ - المادحون

٣ - صغيرتي

٤ - حبيبتي بلادي

٥ - لحظة الوصال

رباه

رباه إن عـــزَّ المـــجـــيـــر بكربة
فلنا بـــحـــرك منةٌ ورجـــاء
خـــابت بنا الآمـــال وهي ولـيـــدة
أصـــوات عـــجـــز مـــا لهـــا اصـــداء
كـــم الشـــراع من الـــسـفـين فلم تعد
تحـــبـــر لبـــر يرتجى ريـــاء
صـــمت الزمـــان فـــلا حـــديث بيننا
ولنا أحـــاديث مـــضـت بتـــراء
لفت بثـــوب الغـــيب في ليل له
في كل خـــاطرة تلوح عـــزاء
نصـــحـــو ونغـــفـــو لاتـــزال بيننا
في كل عـــيـــن نظرة جـــدباء
والليل يأتي لايشـــيـــر قـــدومـــه
غـــيـــر الرؤى ورؤى الـــسـجـين عـــزاء
نمـــضـين نحطم في ســـراها قـــيـــدنا
فلنا بهـــا رغم الدجن إســـراء
ونغـــيق بعـــد الليل في ليل الضـــحى
وبكـــل قـــلـــب وقـــــدة وعـــنـــاء
لاشيء ينطق غـــيـــر لحن صـــامت
عـــزفـــتـــه في ليل الأسـى الأنواء
أنا قـــد وقـــفـت ببـــاب رب قـــادر
يـــرجـــى لـــديـــه الـــنـــفـــع والإيـــواء
وكـــرهت أن الذل لعـــبـــد حـــاجـــة
فـــعـــبـــيـــد ربي كلهم فـــقـــراء

ولقد سئمت سؤالهم فسألته
وتركت ساحتهم بي استغناء
أسلمته ضعفي ليقوى عنده
فالضعف عند رحابه استعلاء
يامن وسعت الكون رباً قاهراً
أشكو إليك بأننا سجناء
أخفين من الأسرار عندك ظاهر
ولديك أطمع أن يجاب دعاء
أرنو لواحات الرضا فياضة
هي للشريد بظلها إيواء
عصفت بنا ريح ومرج غاضب
عصفت بنا في ليلنا الأرزاء
قد ضاق صبري واللسان بحار في
رسم البيان فيعتريه بكاء
وأكاد أصرخ استغيث بمن له
في كل نازلة تحل وقاء
واحمل الليل الطويل بأنةٍ
لك لا لغيرك لا سواك غناء
إني عرفتك واحداً متنزهاً
ملكاً تفرد ماله شركاء
فنزعت عن كل الوجود وجوده
فله الفناء وللعظيم بقاء
الله أنزل في القلوب سكينة
لله في كل القلوب نداء
الله رب العالمين وربنا
ولنا به في النازلات رجاء

الله ذكـــــر في القلوب بنيـــرها
فطريقـــهـــا رغم الظلام ضـــيـــاء
وغـــداً ســـيـــأذن للغـــريب بعـــودة
لديار خلد أهلهـــــا الغـــربـاء

*

يا صـــاحب المعـــروف جودك ســـابق
منـــك الثنـــاء إليـــك منـــك عـطـاء
يا عـــالي الأقـــدار جُد بكرامـــة
ســـمـــحـــاء تشـــهـــد أننا برءاء
يـا من أذنـت لنـا بذكـــــر طاهـر
أبـاتـه نجلين بهـــا الظـلـمـــاء
وجـــعلتنا من أهل اكـــرم مـــرسل
بـيـن الأنـام وأهـلـه الكـرمـــاء
العـــفـــو عندك حـــصـن أمن يرتجى
العـــفـــو عندك واحـــة خـضـــراء
أهفـــو إلى الغـــفـــران أطلب توبة
ترضى بهـا وبقلبي اســتـحـيـاء
إحـــســـانك الفـيـاض غـيـث غـامـر
والكف خـــالـيـــة فكيف وفـــاء

* * *

المادحون

المادحون تشرفوا بمديحه
والعاشقون تنعموا بهداه
والمخلصون تأدبوا بمقامه
والمخلصون تشفعوا بحماه
والجنة الخضراء أبدت لهفة
وتحركت أشواقها للقاه
وسرت إلى الأملاك هذب بشائر
إن الحبيب يحين وقت سراه
ياخير خلق الله ذكرك مؤنس
حبي بهذا الذكر أن ترعاه
أسرى بك الرحمن أسعد مرسل
لتنال قرباً جل في معناه
صليت بالرسل الكرام جميعهم
أنت الإمام وكلهم برضاه
جزت السماء وجزت ما بعد السما
شرف الفؤاد وكرمت عيناه
كل له حدٌ ويرجع عنده
والمصطفى فوق الحدود مداه
جبريل قدمه لحضرة ربه
والسر فوق السر ما أوحاه
أقلام غيب الحق أنت سمعتها
وصريفها يجري بفصل قضاه
ورأيت آدم فاستنار جبينه
ياقرة العين التي تغشاه

أنت المقدم والمقدم غيره
والكل يهتدي بنور هداه
بحسين وعيسى وحبا بمحمد
بشرى المسيح تحققت بشراه
ورأيت يوسف والجمال يحوطه
والحسن أنت جلاله وبهاه
وعرفت من رفعت له درجاته
ادريس صديقاً وصدقناه
هارون موسى والدعاء معطر
نعم الإخاء إذا التقى مرماه
ومن الخليل حملت حلو سلامه
للمسلمين ونعم ما أهداه
والبيت معمور بأشرف طائف
وملائك الرحمن في معناه
والسيد المختار يشرق ظاهراً
جل المديح بذكره ودعاه
جاز الخوارق كلها متفرداً
لا الكون يحجبه ولا مبناه
صلوا عليه تعلقوا برحابه
ياطيب هذا الجاه ما أعلاه
الله اكبر إن ركب محمد
ظهرت بشائره وعم سناه
والشرعة السمحاء يبدو نورها
يجلو ظلام الليل ما أنقاه

والدهن عـــاد إلى الحـــيـــاة يقـــودها
أكـــــرم به من قـــــائد نلقـــــاه
ومـــــاجـــد الرحـــمن يعـــمـــرها التـــقى
واســـتـــيـــقظ العـــمـــلاق مـــا أقـــواه
فـــاســـتـــمـــكوا بالله واحـــمـــوا دينه
وغـــداً ســـنفـــرح بالحـــبـــيب نراه

* * *

صغيرتي

لاتعجبي صغيرتي
إذا رأيت دمعتي
فلست فارساً تعود الخطر
ولست مالكاً ذراع مارد تفتت الحجر
ولست عالماً بالغيب
كي ادافع الشرور بالحذر
أنا صغيرتي بشر
ودمعتي قرية من الأسى
يذيبني الألم
يصيبني الجنون حيث يصنع العدم
تشل نظرتي
إذا رمتها نظرة الخداع بالنقم
يصيبني الضنى والعجز والسأم
لاتغضبي صغيرتي
فالنظرة التي رأيتها مضيئة تصافح الحياة
واللفظة التي سمعتها
رنانة الصدى تحرك الصدور والشفاه
والبسمة التي أهديتها إليك
كي تصافحي ملامح الإنسان حيث كان
كل الذي رأيته
ما كنت فيه كاذباً صغيرتي ولن أكون

لكن ما رأيته هو الشذى

يفوح من حديقة الزهور في مواسم الربيع

هو الحياة في ظلال راية بيضاء

نسيجها الضياء

وطائر الأمان حولها يرتل الغناء

وشارة الزيتون . . شارة على الصدور

تزرع الطريق بالنماء

. . .

كي تفهمي صغيرتي

هل تذكرين

حديقة التفاح والأسد

تلك التي بها ركبت ذلك الجبل

يمضي بنشوتك الحبية ناعماً

وهو السعيد بما حمل

هل تذكرين صاحب العرين

ذلك الذي تزيد عنده الخطى

ذلك الذي لا تجسر الوحوش أن تنال ساحته

قد نلته صغيرتي

فقلت من يديك ما أصاب هامته

العيب ياصغيرتي في قسوة الأغلال

لا عيب في الرجال

العيب لي من يعشق انحناءة الرجال

لاتحزني صغيرتي إذا رأيت دمعتي

فتلك قطرة من الندى

تجف في الصباح إن بدا

• • •

حبيبتي بلادي

حبيبتي
قد كنت أصنع الكلام من دمي
وكنت أهزف النشيد هامساً
لعله إلى الفؤاد يتسمي
وكنت أكتب الحروف واحدا فواحداً
لتقرئي . . لتفهمي
وكنت يا حبيبتي وكنت
والآن يا حبيبتي
لن أكمل الحديث
ولن بدا مشوقاً
فليس ما أريده إثارة الطرب
أو أن تحركي الشفاه من دلائل العجب
ولن أتم يا حبيبتي النغم
فقد رأيت ما يحرم النشيد
ألف عام
قصرت كلما بدأت في الغناء
أجهشت في البكاء
لن أمسك القلم
فالرعشة التي سرت في قلبي المنهوك
أصابت المواقع الخضراء بالعقم
فلم تعد تجيد غير نبضة الألم

لن أكمل الحديث ياحبيبتي

فشمعتي في ليلة الجفاء انطفئت

وأكذب الأصوات في هواك

قد علت

وقصة الكلام كلها

قد انتهت

حبيبتي

وكلهم بالأمس كان في الهوى متيما

حبيبتي وأين هم ؟

في ليلك الحزين

وأين ياحبيبتي الأمير زائراً

في الموكب الكبير

يملؤ الطريق بالعطور والزهور

يختال فوق صهوة الجواد

وأين ياحبيبتي غناء شاعرك

قد سال بحره منغماً من بسمتك

وأين ياحبيبتي يمين عاشق

أنك يسبق الرياح كي يرى بجانبك

خدعت ياحبيبتي

بكت بكفك الجراح

وارتوت بدمعك السفوح والجبال

ناحت رمالها

في ليلة الحداد حين زارها دمك

بكت سهولها

لوطئة البغي يستبيح حرمتك

نسيت في موائد الثناء

سيدا تعشق الفدا

الموت عنده حياه

احب دائماً أن ترفع الجباه

وكفة الكلام عنده

نصف كفة العمل

احب أن يراك مسجداً

مقدساً تراه

لا ينال تربه

نسيته مقبراً

شغلت عنه بالبريق

من سيطفي الحريق غيره

ومن سيمسح الجراح إن جهلت سره

الرعب يسبق الخطى لخصمه

والف سهم للصدور

تفتدئ بسهمه

وحفنة الرمال من يديه

تملأ العيون بالعمى

وسيفه بريطه صواعق

ستحفظ الحسن .

حبيبتي
ولم تزل في أفقنا بقية من الرجاء
حطمي قيوده
لتحتمي بسربه
لتصنعي حياتنا به
لتسمعي دعاءه . . بكاءه
يستمطر السماء زاده . . ونصره
ويستغيث ربه
فحطمي قيوده

* * *

لحظة الوصال

سنذوب سيدي في لحظة الوصال

سنمحي

سيتهي السؤال

ستهدأ الودائع التي في داخل الصدور

ستستقر في مرافئ الأمان

بعد رحلة الضنى

ستكشف الستور

سيظهر المخبوء عن شواهد العيون

وعند ذاك سيدي

وعند ذاك

تمضي بنا الرياح في كل اتجاه

وتركب النجوم في تجوالها الغريب

في مسيرة الضياء

وتختلي مع الذي لم يعرف الملل

ورغم قسوة الظلام حوله

اكتمل

تطير في سحابة سافرة

في رحلة لم تعرف البشر

وترقب الفريد حالماً مسبحاً

في قمة الشجر

وتستريح عند شاطئ الجليد

في مغارة بيضاء

تذيبها حرارة النظر

...

مشتاقة إليك سيدي جوارحي

مشتاقة إليك في القلوب لمحة

محتاجة من نورك الفياض

بعض ما يبل غلة الظما

تشققت في الصدر سيدي

مواطن الزروع

بعض الندى

أو قطرة من المطر

ترد قصة الحياة

حتى يحين موعدي مع اللقاء

وعند ذاك سيدي وعند ذاك

سيتهن السؤال

ستذوب سيدي

في لحظة الوصال

● ● ●

المصادر

١. القرآن الكريم

٢. البناء الفني للقصيدة العربية ، د. محمد عبد المنعم خفاجي مكتبة القاهرة.

٣. خطب إبراهيم عزت ، لشرطة مسجلة بصوته - شركة النور الإسلامية.

٤. ديوان أغنيات الليل الطويل، للدكتور نجيب الكيلاني (مخطوط).

٥. ديوان الله أكبر . إبراهيم عزت سليمان، بيروت ١٩٧٠م.

٦. ديوان المازني (مقدمة بقلم العقاد) مطبعة البوسفور.

٧. دائرة المعارف الإسلامية جزء ٢ ، شركة سفير .

٨. رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٩. شعراء الدعوة الإسلامية جـ٣، د. أحمد الجدع، ود. حسني جرار مؤسسة الرسالة بيروت.

١٠. الشعر العربي المعاصر، د. عز الدين إسماعيل، دار الكاتب العربي القاهرة.

١١. العقاد ناقداً ، د. عبد الحي دياب، دار الشعب.

١٢. مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة ١٩٩١م.

١٣. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

١٤. مهرجان الشعر. المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، القاهرة ١٩٦٠ .

١٥. الموت في الشعر الحديث. د. حسن عبد السلام، القاهرة ١٩٩٦م.

محتوى الكتاب

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
القسم الأول : حياة إبراهيم عزت	٥ ـ ٣١
المولد والنشأة	٧
جهوده في الدعوة	٩
صفاته وأخلاقه	٢٨
خاتمة صالحة وموتة حسنة	٣١
القسم الثاني : شعره دراسة وتقويم	٣٣ ـ ٩١
١ ـ التجربة الشعورية	٣٥
٢ ـ الالتزام الإسلامي	٤٥
٣ ـ الأطر الموسيقية	٥٢
٤ ـ الصورة الشعرية	٦٠
٥ ـ النزعة الدرامية والوحدة العضوية	٧٨
٦ ـ نقد وتقويم	٨٧
القسم الثالث : مختارات من شعره	٩٣ ـ ١٠٩
١ ـ رباه	٩٥
٢ ـ المادحون	٩٨
٣ ـ صغيرتي	١٠١
٤ ـ حبيبتي بلادي	١٠٤
٥ ـ لحظة الوصال	١٠٨
المصادر	١١١
محتوى الكتاب	١١٢

مكتبة دار الفاروق للنشر الإسلامية / القاهر من مرسى / شارع الشهداء ٩ تليفون : ٦٦٣٢٠٢ - ٦٦٣٢١١